تَفسير إنجيل يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر

(الإصحاحات١٤-١٦)

برنامج «في ظلال الكلمة»

بِقَلَم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُرد
تَرجَمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك ان تنسخها لاجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

Mini Bible College

Study Booklet Twenty-Seven

The Gospel of John
(Part 5)
Verse By Verse
(Chapters 14-16)

بَرنامج "في ظِلالِ الكلمة"

كُتَيِّب رَقَم ٢٧

إنجيل يُوحَنَّا مُفسَّراً عدداً بعدَ الآخر
(الإصحاحات ١٤-١٦)

بِقَلم: القَسّ الدُكتُور دِكْ وُودوُورد
تَرجمَة: القَسّ الدُكتُور بيار فرنسيس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الفَصلُ الأوَّل
"أسئِلَة وأجوِبَة"
(يُوحَنَّا ١٣: ٣٣- ١٤: ١٤)

في بِدايَةِ كُلِّ كُتَيِّبٍ من كُتَيِّباتِ تفسيرِ إنجيلِ يُوحَنَّا، أُوضِحُ أنَّ قَصدِي هُوَ أن أُوَفِّرَ بعض الشُّرُوحاتِ لأُولئكَ الذين سَمِعُوا حلقاتِنا المائَة والثَّلاثِين من بَرنامَج "في ظِلالِ الكلمة"، والتي تُعَلِّمُ إنجيلَ يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر. وسوفَ تتمتَّعُونَ بالإستِمرارِيَّةِ في دراسَتِكُم لإنجيلِ يُوحَنَّا، إذا قَرَأتُم الكُتَيِّباتِ الأربَعة في هذه السِّلسِلَة قبلَ أن تقرَأُوا هذا الكُتَيِّب، الذي هُوَ الكُتَيِّبُ الخامِس في سِلسِلَة التَّفسير هذه.

يَصِحُّ هذا بالتَّحديد على هذا الكُتَيِّب الذي أنتُم الآنَ بِصَدَدِ قراءَتِهِ، لأنَّ القَرينَةَ التي تُساعِدُنا على فَهمِ ما سندرُسُهُ مُفَسَّرَةٌ في الكُتَيِّب ٢٦، الذي يسبِقُ كُتَيِّبَ الدِّراسَة هذا تماماً. فإن كُنتُم تُريدُونَ أن تَقُومُوا بدراسَةِ أو تعليمِ إنجيلِ يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر، ولم تَكُن لدَيكُم الكُتَيِّباتُ الأربَعة السَّابِقَة من هذه السِّلسِلَة، إتَّصِلُوا بنا فنُرسِلَها لكُم عاجِلاً.

وكما أشَرتُ في الكُتَيِّب السَّادِس والعِشرين، يبدَأُ يُوحَنَّا في مُنتَصَفِ الإصحاحِ الثَّانِي عشَر النِّصفَ الثَّانِي من إنجيلِ يُوحَنَّا. النِّصفُ الأوَّلُ من هذا الإنجيل يتكلَّمُ بِشَكلٍ عامٍّ عن خدمَةِ يسُوع من وَعظٍ وتعليمٍ وشِفاءٍ وتدريبٍ للرُّسُل الذين سيُتابِعُونَ ما بدأَهُ خلالَ السَّنواتِ الثلاث من خدمَتِهِ العَلَنيَّة. بدَأَ يُوحَنَّا القِسمَ الثَّانِي من إنجيلِهِ بتخصيصِ أربَعَةِ إصحاحاتٍ للطَّريقَةِ التي ذَكَّرَ بها بأطوَلِ عِظَةٍ مُدَوَّنَةٍ ليسُوع، والتي نَجِدُها مُسَجَّلَةً في الإصحاحاتِ الأربَعة، والتي تُسَمَّى بِعِظَةِ العُلِّيَّة." (يُوحَنَّا ١٣- ١٦).

غالِباً ما إستَخدَمَ مُعَلِّمُو النَّامُوس القُدَامَى منهَجِيَّةَ الأسئِلَة والأجوِبَة خلالَ تعليمِهم. ولقد أجابُوا بالفعلِ على الأسئِلَةِ بأسئِلَةٍ أُخرى طرحُوها بِدَورِهِم. وعندما سُئِلَ مُعَلِّمُ النَّامُوس هِلِّل، "لماذا تُجِيبُونَ أنتُم الرَّابِّيُّونَ على السُّؤالِ بِسُؤال؟" أجابَ بالسُّؤال، "ولمَ لا؟" وكما يُشَدِّدُ هذا الإنجيلُ، كانَ يسُوعُ أكثَرَ من مُجَرَّدِ مُعَلِّمٍ للنامُوس. ولكن، كَونَهُ المُعَلِّمُ الكامِل، إستَخدَمَ طريقَةَ الأسئِلَة والأجوِبَة خلالَ تعليمِهِ. ولقد أثارَ تعمُّداً أسئِلَةً تَجُوبُ في قُلُوبِ وأفكارِ هَؤُلاء الرُّسُل الذين خاطَبَهُم بعظَتِهِ الطَّويلة في العُلِّيَّة.

ألقَى يسُوعُ أطوَلَ عِظَةٍ لهُ عندما إلتَقى معَ تلاميذِهِ للمرَّةِ الأخيرة قبلَ مَوتِهِ. وبما أنَّ كُلَّ هذا التَّعليم أُعطِيَ في إطارِ خُلوَة، لهذا أُسمِّيهِ "الخُلوة المسيحيَّة الأخيرة." في مرحَلَةٍ مُبَكِّرَةٍ من خدمَةِ يسُوع العلنيَّة لثلاثِ سنواتٍ، ألقَى يسُوعُ عِظَةً تُسَمَّى "المَوعِظَة على الجبل." أُسمِّي هذه العِظة "الخُلوة المسيحيَّة الأُولى،" لأنَّ يسُوعَ أعطَى هذا التعليم في إطارِ خُلوة. ومن بَينِ التَّلاميذِ الذين وضعَ أمامَهُم التَّحدِّي على ذلكَ الجَبل، كلَّفَ يسُوعُ الإثنَي عَشَر ليَكُونُوا رُسُلَهُ أَو مُرسَليه. ولقد علَّمَهُم لثلاثِ سنواتٍ، وأظهَرَ لهُم كيفيَّةَ العمَل بتعليمِهِ، ثُمَّ دَرَّبَهُم وأرسَلَهُم ليُغامِرُوا في خِدمَتِهِ. وها هُوَ الآن يأخُذُ خُلوَةً معَهُم، وهُوَ على وَشكِ أن يُخَرِّجَهُم من مدرَسَةِ تدريبِهِ.

الأعدادُ الأخيرَةُ من الإصحاحِ الثَّالِث عشَر تَذكُرُ سُؤالَين طَرَحَهُما بُطرُس على يسُوع: "يا مُعَلِّم، أينَ تذهَب؟ ولماذا لا أستَطيعُ أن أذهَبَ معكَ؟ فأنا مُستَعِدٌّ أن أضعَ حياتِي عنكَ!" أجابَ يسُوعُ على أسئِلَةِ بُطرُس بالتَّنبُّؤِ عن نُكرانِ بُطرُس المُثَلَّث لهُ، وتابَعَ يسُوعُ بالإجابَةِ على هذينِ السُّؤالَين اللذَينِ طرَحَهُما بُطرُس في بدايَةِ الإصحاحِ التَّالِي. وبعدَ أن طرحَ بُطرُس سُؤالَيهِ، وبعدَ أن أجابَ الرَّبُّ عليهِما، تقدَّمَ الرُّسُلُ تُوما، فيلبُّس، ويَهُوَّذا وطرَحُوا أسئِلَةً على يسُوع أيضاً. ولقد شكَّلَت أسئِلَتُهُم وأجوبَةُ يسُوع على أسئِلَتِهِم هذه قَلبَ الإصحاحِ الرَّابِع عشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا.

أنا مُقتَنِعٌ أنَّ يسُوعَ كانَ يُشَجِّعُ عمداً طرحَ مثل هذه الأسئِلَة، عندما إستَخدَمَ كَلِماتٍ مُفعَمَةٍ بالعَطفِ، التي نراها مُدَوَّنَةً في نهايَةِ الإصحاحِ الثَّالِث عشَر." "يا أولادي، أنا معَكُم زَماناً قَليلاً بَعد. سَتَطلُبُونَني وكَما قُلتُ لِليَهُود حيثُ أذهَبُ أنا لا تَقدِرُونَ أنتُم أن تأتُوا، أقُولُ لكُم أنتُم الآن." (يُوحنَّا ١٣: ٣٣). في هذَينِ الإصحاحَين، ومن العدد ٣١ من الإصحاحِ الثالِث عشَر وحتَّى العدد ٣١ منَ الإصحاح الرَّابِع عشَر، ليسَ بإمكانِكُم أن تقرَأُوا خمسَةَ أعدادٍ بِدُونِ أن تمُرُّوا عبرَ مَوضُوعِ الدُّخُولِ والخُرُوج – أي أنَّ يسُوعَ دَخَلَ إلى هذا العالم وها هُوَ الآن يخرُج ليَمضِيَ إلى الآب.

عندما شَدَّدَ يسُوعُ على هذا المَفهُوم تِكراراً، كانَ يُثيرُ عمداً هذينِ السُّؤالَينِ اللذينِ طرحَهُما بُطرُس، في أذهانِ كُلِّ أُولئكَ الرُّسُل. قامَ يسُوعُ بِهذا لأنَّ أجوبَتَهُ على هذه الأسئِلة شكَّلَت قَلبَ الحقيقَةِ التي أرادَ أن يُشارِكَها معَهم في إطارِ هذه الخُلوة الأخيرة.

عندما أجابَ يسُوعُ أوَّلَ سُؤالٍ لبُطرُس القائِل، "حيث أمضِي أنا لا تقدِرُونَ أنتُم أن تتبَعُونَني، ولكنَّكُم ستَتبَعُونَنِي لاحِقاً،" تأكَّدُوا من أن تُلاحِظُوا أنَّ يسُوع لم يُجِبْ بالفِعل على سُؤالِ بُطرُس. فهُوَ لم يُخبِرْ بُطرس تماماً أينَ كانَ سيمضِي. بل قالَ بِبَساطَة: "لا تَقدرُ أن تَتبَعَني الآن، ولكنَّكَ ستَتبَعُني لاحِقاً." ثُمَّ عادَ بُطرُس ليَطرَحَ سُؤالَهُ الثَّانِ]: "يا سَيِّد، لماذا لا أقدِرُ أن أتبَعَكَ؟" إنِّي أضَعُ نفسِي عنكَ."

يبدُو أنَّ بُطرُس أدرَكَ أنَّهُ عندَما يَقُولُ يسُوعُ أنَّهُ سيمضِي بَعيداً، كانَ يُشيرُ بِذلكَ إلى مَوتِهِ. وكما أشَرتُ في الكُتَيِّبِ السَّابِق، كانَ رِجالُ الدِّينِ يُحَرِّضُونَ رُوما لتُطبِقَ على الرَّبِّ يسُوع وعلى رُسُلِهِ. وهكذا بَرَزَ خَطَرٌ كَبيرٌ أحْدَقَ بالتَّلاميذ. فعرَفُوا أنَّهُ منَ المُمكِنِ جدَّاً أن يُطلَبَ منهُم أن يمُوتُوا معَ المسيح – خاصَّةً عندما أخبَرَهُم بأنَّهُ ماضٍ ليَمُوت، وأنَّهُم هُم أيضاً سيَمُوتُونَ وسيُدفَنُونَ في التُّرابِ مثل حبَّةِ الحِنطَة. (يُوحَنَّا ١٢: ٢٤)

أجابَ يسُوعُ على تصريحِ بُطرُس القائِل بأنَّهُ مُستَعِدٌّ أن يُضَحِّيَ بِنَفسِهِ لأجلِ يسُوع، أجابَ يسُوعُ بالكلماتِ التَّالِيَة: "أحَقَّاً أنتَ مُستَعِدٌّ أن تضعَ حياتَكَ عنِّي؟ الحَقَّ أقُولُ لكَ، قبلَ أن يصيحَ الدِّيكُ ستُنكِرُني ثلاثَ مرَّاتٍ." تأمَّلَ كيفَ كانَ وَقْعُ هذه الكلماتِ على قَلبِ بُطرُس وكم سَبَّبَتْ لهُ منَ الألَمِ والأسى.

لا يُخبِرُنا يُوحَنَّا شَيئاً عنِ تعابيرِ وَجهِ يسُوع ولا عن نبرَةِ صَوتِهِ عندما تكلَّمَ بهذه الكلماتِ الرَّهيبَة لبُطرُس. ولكنَّني مُقتَنِعٌ، رُغمَ عدَم توفُّر الدَّليل، بأنَّهُ عندَما تكلَّمَ يسُوعُ بهذه الكلمات معَ بُطرُس، كانَت عيناهُ مملُوءَتانِ بالمحَبَّةِ تجاهَ بُطرُس، وعبَّرَ صَوتُهُ عنِ الكَثيرِ منَ الحَنانِ تجاهَهُ.

قَبلَ لَحظاتٍ فقط من قَولِهِ هذه الكلمات لبُطرُس، خاطَبَهُم جَميعاً كأطفال. وبما أنَّ الكلامَ كانَ بهدَفِ التَّودُّدِ والعَطفِ تجاهَهُم، نعلَمُ أنَّ الرَّبَّ يسُوع كانَ في مرحَلَةِ عطفٍ وحنانٍ على التَّلاميذ في هذه المرحلة. أعتَقِدُ أنَّ محبَّتَهُ وحنانَهُ إستَمرَّا عبرَ حوارِهِ معَ بُطرُس. حتَّى أنَّني أظُنُّ أنَّهُ كانت لدَيهِ بَسمَةٌ على وجهِهِ عندَما خاطَبَ بُطرُس قائِلاً: "أحَقَّاً يا بُطرُس؟ الحقَّ الحقَّ أقُولُ لكَ إنَّهُ لا يَصيحُ الدِّيكُ غداً صباحاً، حتَّى تُنكِرَ ثلاثَ مرَّاتٍ أنَّكَ تَعرِفُني – ليسَ مرَّةً واحِدَةً، بل ثلاثَ مرَّاتٍ!"

تأمَّلُوا كم كانت كلماتُ يسُوع التي تكلَّمَ بها معَ بُطرُس مَدعَاةً للإضطِّراب لباقِي التَّلاميذ المُتحلِّقِينَ حولَ المائِدَة. نقرَأُ أنَّهُم إضطَّرَبُوا في نُفُوسِهم. ومِنَ المُلائِمِ جدَّاً أن تَكُونَ الكلماتُ التي سَمِعُوها منَ يسُوع، والتي خاطَبَهم جميعَهُم بها، هي التَّالِيَة: "لا تَضطَّرِبْ قُلُوبُكُم. أنتُم تُؤمِنُونَ باللهِ فآمِنُوا بِي. فِي بَيتِ أبي منازِلُ كَثيرَة. وإلا فإنِّي كُنتُ قد قُلتُ لكُم. أنا أَمضِي لأُعِدَّ لَكُم مكاناً. وإن مَضَيتُ وأَعدَدتُ لكُم مكاناً آتي أيضاً وآخُذُكُم إليَّ، حتَّى حيثُ أكُونُ أنا تكُونُونَ أنتُم أيضاً. وتَعلَمُونَ حيثُ أنا أَذهَبُ وتَعلَمُونَ الطَّريق." (يُوحَنَّا ١٤: ١- ٤).

لاحِظُوا أيضاً أنَّهُ عندَما يَقُولُ لهُم جميعاً: "لا تَضطَّرِبْ قُلُوبُكُم،" يستخدِمُ كلمة "قُلُوبُكُم بِصِيغَةِ الجَمع." كانَ يتكلَّمُ بِوُضُوحٍ معَهُم جميعاً عندما قالَ، "آمنُوا باللهِ. وآمنُوا بِي." بكَلِماتٍ أُخرى، أنتُم تُؤمِنُونَ باللهِ. آمنُوا أيضاً بي." هذا تصريحٌ من قِبَلِ يسُوع بأُلُوهِيَّتِهِ، لأنَّهُ وضعَ نفسَهُ على المُستَوى ذاتِهِ معَ الله. ثُمَّ بدَأَ الإصحاح الرَّابِع عشَر الرَّائِع بالكلماتِ المألُوفَةِ التَّالِيَة، التي نُحِبُّ أن نقرَأَها في خدماتِ الدَّفنِ أو الجنازة.

"وتَعلَمُونَ حيثُ أنا أذهَبُ وتعلَمُونَ الطَّريق." (يُوحنَّا ١٤: ٤) أنا مُتَيَقِّنٌ أنَّ تصريحَهُ الأخير تعمَّدَ بهِ إثارَةَ سُؤالٍ آخر في أذهانِ التلاميذ. بإخبارِهِ إيَّاهُم أنَّهُم يعرِفُونَ أينَ كانَ ذاهِباً ويعرفُونَ الطَّريق الذي كانَ ذاهِباً فيهِ، تجرَّأَ الرَّسُولُ الذي نَدعُوهُ "تُوما المُشَكِّك" ورَدَّ بِالسُّؤال: "يا سَيِّد، لسنا نعلَمُ أينَ تذهَبُ فكيفَ نقدِرُ أن نعرِفَ الطَّريق."

أمّا إجابة يسوع عن سؤال توما فتُشَكِّل أحد أجمل الأعداد في الكتاب المقدّس وفي إنجيل يوحنّا. أجابَ يسُوع: "أَنَاْ هُوَ الطَّرِيْقُ وَالحَقُّ وَالحَيَاْةُ." ثُمَّ أضاف، "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِيْ الى الآبِ إِلَّاْ بِيْ."

لقد قدَّمَ يسُوعُ بالحقيقَةِ ثلاثَة تصريحاتٍ عقائِدِيَّة، عندما أجابَ على سُؤالِ تُوما. هذه التَّصريحات الثلاث هي أنَّهُ هُوَ الطَّريق وهُوَ الحقُّ وهُوَ الحياة. عندما صَرَّحَ أنَّهُ الطَّريقُ إلى ذلكَ المكان الذي يُعدُّهُ لهُم، كانَ يُشيرُ إلى مَوتِهِ على الصَّليب. فصَليبُ رَبِّنا ينبَغي أن يُمَثِّلَ أكثَرَ من مُجَرَّدِ زينَةٌ يلبَسُها النَّاسُ على صُدُورِهِم. صليبُ يسُوع المسيح يُشيرُ إلى طريقِ خلاصِنا، وإلى الطريق الذي يُؤَدِّي إلى المكانِ الذي أعَدَّهُ يسُوعُ لأُولئكَ الذين آمنُوا باللهِ وبهِ كمُخَلِّصِهم.

مَوتُ يسُوع على الصَّليب يشير الى خدمته كَكاهِن. فالكاهِنُ هو الذي يتوسّط للإنسان لدى اللهِ. وهذا ما فعلَهُ يسوع عندما قدّم نفسه على الصليب. لقد شقّ طريقاً لنا كي نذهب الى ذلك المكان السماوي ونعيش فيه الى الأبد مع اللهِ، وذلكَ بتَقديمِهِ ذَبيحَةً كامِلَةً عن خطايانا. (يُوحَنَّا ١: ٢٩؛ إشَعياء ٥٣: ٧؛ عبرانِيين ٢: ١٧؛ ٩: ١١- ٢٨).

كان بإمكانه تأمين الطريق من خلال ترك أعماله السماويّة بعد ظهر يوم الجمعة والمجيء الى هذا العالم ليموت على الصليب من أجل خطايا العالم. لكنّه أتى الى هذا العالم وعاش لمدّة ثلاث وثلاثينَ عاماً، لأنّه لم يأتِ ليموت على الصليب فقط. فكما أشَرتُ سابِقاً، عددُ الإصحاحات التي يُعطيها هذا الإنجيلُ الأولويَّةَ ليَصِفَ الأسبوع الأخير من حياة يسوع، يُرينا أنَّ مَوتَهُ على الصَّليب وقيامَتَهُ منَ المَوت شكَّلاً الجُزءَ الأكثَر أهمِّيَّةً وحيويَّةً من حياتِهِ وخدمتِهِ. فلماذا لم يأتِ فقط يوم الجمعة العظيمة ليموت على الصليب؟ "لأنّه كان أيضاً الحقّ."

هل تذكرون مقدّمة هذا الإنجيل (يُوحَنَّا ١: ١- ١٨) التي جاءَ فيها: "فِيْهِ كَانَتِ الحَيَاْةُ وَالحَيَاْةُ كَانَتْ نُوْرُ النَّاْسِ. [كانَ هُوَ الكَلمة – أي ناقِلَ فِكرِ الله – الذي عَبَّرَ عن كُلِّ فكرِ اللهِ تجاهَ البَشر، الذي كانَ بإمكانِهم أن يفهَمُوه. وكَونَهُ الكلمة، كانَ عندَ اللهِ منذُ البَدء، وكانَ الله،] وَالكَلِمَةُ صَاْرَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَاْ وَرَأَيْنَاْ مَجْدَهُ مَجْداً كَمَاْ لِوَحِيْدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوًّا نِعْمَةً وَحَقًّا"؟

لقد حصل شعب اللهِ على الحقِّ الذي جاءَهُم عن طريق الصفحة المقدّسة من خلال موسى والأنبياء. لكنّ الله شعرَ بقوّةٍ بأنّه يريد أن يكون لدى شعبِ هذا العالم أكثرُ من الصفحة المقدّسة. أرادهم أن يحصلوا على الكلمة الحيّة متجسّدةً. أرادنا أن نرى كم أنّ حقيقة الصفحة المقدّسة يمكنها أن تأخذ شكلاً بشريّاً وأن تعمل في العالم، أي أرادَنا أن نرى كَلِمَةً عاشَ وسلكَ في حياةٍ كامِلَة في الجَسَدِ البَشَري. أرادَنا أن نرى كيفَ يُمكِنُ لحقيقَةِ الصَّفحَةِ المُقدَّسَة أن تعمَلَ وتُعاشَ في الحياةِ البَشَريَّة. وهذا ما عناه يسوع عندما قال: " أَنَاْ هُوَ الحَقُّ". ففي كُلِّ ما كانَهُ وكُلِّ ما عَمِلَهُ، كانَ هُوَ الحَقّ. وبالطبع هذا التصريح يشمل ذلك كلّ مرّةٍ فتح فيها يسوع فمه وعلّم تلاميذه وقال الحقّ وشهد للحقّ.

يقول يسوع في الجزءُ الثالث من تَصريحِهِ العَظيم: "أَنَاْ هُوَ الحَيَاْةُ". هذا يعني أنّ يسوع عاش الحياة المثاليّة، وَأَظْهَرَ لنا ما هي الحياة. لقد صنع لنا نموذجاً عن الحياة الأبديّة التي يخبرنا يوحنّا عن نوعيّتها في هذا الإنجيل. ويعني هذا التَّصريحُ أنَّ يسُوعَ جاءَ ليمنَحَ ما أَسمَاهُ "حياة أفضَل، أو حياة فيَّاضَة"، وذلكَ من خلالِ منحِ إختِبارِ الولادَةِ الجديدة لأولئكَ الذين علَّمَهُم وقابَلَهُم. (يُوحَنَّا ١٠: ١٠)

تبدأ هذه التَّصريحات الثلاثة بكلمتينِ مهمّتينِ: "أَنَاْ هُوَ" والتي تُشَكِّلُ أهمَّ كلماتٍ تكلَّمَ بها. إذ نُركِّزُ إهتِمامنا على الطريقة التي أجابَ بها يسُوعُ تُوما، نكتَشِفُ تصريحاً آخر من تصريحاتِ يسُوع القائِلَة "أنا هُوَ" في إنجيلِ يُوحَنَّا. فهو لم يَقُلْ: "أتيتُ لأُخبرَكُم عن طريقٍ وأَصِفَ لكم حقيقةً مُعيَّنَة تتكلَّمُ عن نوعيّةِ حياةٍ". إنّ الكلمتينِ المهمّتينِ هنا هما: "أَنَاْ هُوَ"، أي "أنا هو طريقُ الخلاص. وأنا هو ذلك الحقّ الذي تسمَعُونَ عنهُ، وأنا هو تلك الحياة التي هي نُور العالم".

تَذَكَّرُوا أَنَّهُ في المُقدِّمَة، أشارَ يُوحَنَّا إلى أنَّ يُوحَنَّا المعمدان لم يَكُنْ هُوَ الشَّخصُ المُهم، بل يسُوعُ كانَ هذا الشَّخص. عندما ظهَرَ يُوحَنَّا المعمدان، كانَ يَقُولُ بإستِمرار أَنَّهُ لم يَكُنْ هُوَ المُهم، بينما عندما ظهَرَ يسُوع نراهُ يَقُولُ دائماً عن نفسِهِ: "أنا هُوَ." أحد الأمور الأكثر ديناميكيّةً التي يذكُرُها يُوحَنَّا عن يسوع هو أنّه عاش كلّ أمرٍ قاله وعلّمه. لكن عندما قال إنّه الحياة، على الأقل جُزءٌ ممَّا صَرَّحَ بهِ كانَ أنَّ الحياةَ التي عاشَها على الأرضِ هُنا كانت نَمُوذَجاً لنَوعِيَّةِ الحياة التي يُريدُها اللهُ لِكُلِّ كائنٍ بَشَريٍّ.

المعنى الأساسِي لتصريحِهِ أَنَّهُ كانَ هُوَ الحياة، نجدُهُ أيضاً في مُقَدِّمَةِ هذا الإنجيل. في الكُتَيِّباتِ الأُولى من هذه السِّلسِلَة، التي تُقدِّمُ لنا دراسَةً لإنجيلِ يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر، أشَرتُ إلى أَنَّهُ في الإعدادِ الإفتِتاحِيَّة، أخبَرنا يُوحَنَّا عمَّا سيَقُولُهُ لنا في إنجيلِهِ. لهذا علينا أن لا نتفاجَأَ عندما نكتَشِفُ خلالَ تحرُّكِنا عبرَ إنجيلِ يُوحَنَّا، أنَّ المُقدِّمَةَ هي بمثابَةِ لائحة مُحتَويات تَصِفُ ما نقرَأُهُ في إنجيلِ يُوحَنَّا.

تُخبِرُنا هذه المُقدِّمَة أَنَّهُ عندما تجاوبَ النَّاسُ بطريقَةٍ صحيحَةٍ مع يسُوع، أخذُوا سُلطاناً أن يَصيرُوا أولادَ الله، ووُلِدُوا من فَوق. وُلِدُوا: "ليس

من دَمٍ، ولا من مَشيئَةِ رَجُلٍ، بل منَ الله." (يُوحَنَّا ١: ١٢، ١٣) كان يسوع الحياة، بمعنى أنّه منح الناس قوّةً ليصبحوا الحياة التي كان يُقدِّمُ نَمُوذجاً عنها من أجلهم.

تُظهِرُ لنا دراسَةُ شَخصِيَّاتِ العهدِ القَديم مبدأً إستَخدَمَهُ اللهُ عندما أرادَ أن يُعَلِّمَ حقيقَةً هامَّة. وهذا المبدَأُ هُوَ: "عندما تُقدِّمُ فكرَةً عظيمَةً، جَسِّدْها بِشخصٍ." مثلاً، عندما أرادَ اللهُ أن يُعَلِّمَنا مفهُومَ الإيمان، جسَّدَ هذا المفهومَ في حياةِ شخصٍ إسمُهُ إبراهِيم. جسَّدَ مفهُومَ النِّعمة في حياةِ يَعقُوب، وجسَّدَ مفهُومَ العِنايَةِ الإلهيَّةِ في حياةِ يُوسُف (تكوين ١٢ – ٢٤؛ ٢٥ – ٣٢؛ ٣٧ – ٥٠).

عندما أرادَ اللهُ أن يُعَبِّرَ عن مفهُومِ الحياةِ الأبديَّة – أي تلكَ النَّوعِيَّة منَ الحياة التي يُريدُها اللهُ لكَ ولي – جَسَّدَ مَفهُومَ الحياةِ الأبديَّةِ هذا في الحياةِ التي عاشَها الرَّبُّ يسُوعُ المسيح على أرضِنا لمُدَّةِ ثلاثٍ وثلاثِينَ سنَةً. وفي مُقدِّمَتِهِ، لم يُخبِرْنا يُوحَنَّا فقط بأنَّ الكلمة الذي صارَ جسداً، كانَ النُّور. بل أخبَرَنا أيضاً أنَّ النِّعمَةَ والحَقَّ بِيَسُوع المسيح صارا. بِكَلماتٍ أُخرى، يسُوعُ المسيحُ كانَ الحياة والنُّورَ اللذَينِ جاءَ ليمنَحَنا إيَّاهُما. وكانَ أيضاً الطَّريق والوَسيلَة التي من خلالِها يُمكِنُنا إختبار وعيش الحياة التي تجعَلُنا بالحقيقَة أبناءَ الله. الوِلادَةُ الجديدةُ هي وسيلَةُ التَّحوُّل التي تمنَحُنا هذه الحياة. الولادَةُ الجديدَة ووسيلَتُها مُتَضَمَّنتانِ في هذه الكلمات، "أنا هُوَ الحياةُ."

التَّطبيقُ الشَّخصِي والتَّعبُّدِيّ لهذه الحقيقة، هُوَ أنَّ المسيحَ الحَيَّ المُقام هُوَ الحياةُ وهُوَ أيضاً الطريقُ لهذه الحياةِ اليوم. إنجيلُ يُوحنَّا لا يُقدِّمُ فقط شخصِيَّةً تاريخيَّةً عاشَت منذُ ألفَي سنَة. بل هُوَ أيضاً حيٌّ اليوم، ومن المُمكِنِ لهُ أن يحيا فيَّ وفيكَ.

وبما أنَّ هُناكَ أشخاصاً يُشَكِّكُونَ بِحقيقيَّةِ وُجودِ يسُوع التَّاريخيّ، كتبَ أحدُ تلاميذِ يسُوع المُخلِصين قائِلاً: "أنا أؤمن أنّه هو، في حين أنّ الناس لم يكونوا واثقينَ من أنّه كان هو. وفي الوقت الذي لم يكن فيه الناس متأكّدين من أنّه فعل، أعلم أنا أنّه لا يزال يعمل".

لقد قيل أيضاً ما يلي: "إنّ يسوع المسيح هو كلّ شيءٍ يقوله عن نفسه، ويسوع المسيح يستطيع أن يقوم بكلّ أمرٍ قال إنّه يمكنه فعله. أنتم

كلّ شيءٍ يقوله يسوع المسيح فيكم، وتستطيعون فعل أيّ شيءٍ يقول يسوع المسيح إنّكم تستطيعون فعله، لأنّه فيكم".

هذان التَّصريحانِ هُما تطبيقانِ شَخصِيَّانِ للتَّصريحِ التَّالي ليسُوع: "أَنَاْ هُوَ الحَيَاْةُ".

لا طَريقَ آخر

عندما قال يسوع: "أَنَاْ هُوَ الطَّرِيْقُ وَالحَقُّ وَالحَيَاْةُ"،لم يتوقّف هنا. عندما أضافَ لِقَولِهِ ما يَلي: "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِيْ الى الآبِ إِلَّاْ بِيْ"، قدَّمَ بِذلكَ تصريحاً عقائِدِيَّاً عن نفسِهِ.

لقد قام يسوع بتصريحاتٍ عقائِدِيَّة جازمةٍ في هذا الإنجيل. تذكّروا أنّه قال لِنيقوديموس في الإصحاحِ الثَّالِث من إنجيلِ يُوحَنَّا ما جَوهَر معناهُ: "أنا هُوَ إبنُ اللهِ الوحيد. وكإبنِ اللهِ الوحيد المَرفُوع على الصَّليب، أنا أيضاً حَلُّ اللهِ الوحيد لمُشكِلَةِ الخَطيَّة في هذا العالم. هذا يعني أنَّني المُخَلِّصُ الوحيد المُرسَل منَ الله. ومنَ الأفضَلِ لكُم أن تُؤمِنُوا بهذا. لأنَّكُم إن آمنتُم بي ستخلُصُون، وإن لم تُؤمِنُوا فأنتُم مُدانُون." (يُوحَنَّا ٣: ١٤- ١٨)

إنّه تصريحٌ عَقَائِدِيٌّ، فالحقيقة كانت دائماً عقائديّة. إن كان إثنان زائد إثنان يساويان أربعة، فالجواب هو دائماً أربعة ولا يمكن أن يكون أمراً آخر. كانَ يسُوعُ يُصَرِّحُ هُنا بأنَّهُ تجسيدُ الحقّ، وأنَّ كُلَّ ما عملَهُ وعلَّمَ بهِ كانَ الحقّ. لذلكَ لم يَكُنْ لدَيهِ الخيارُ إلا بأن يَكُونَ عقائِدِيَّاً. لقد صرَّحَ يسُوعُ بذلكَ أنَّ كُلَّ طريقٍ أُخرى للخلاصِ غيرَهُ هُوَ هي غيرَ مُجدِيَة، وذلكَ بِقَولِهِ بالتَّحديد: "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِيْ الى الآبِ إِلَّاْ بِيْ". على هذا الأساس وعظَ الرُّسُلُ قائِلين: "ليسَ إسمٌ آخر تحتَ السَّماء قد أُعطِيَ بينَ النَّاس بهِ ينبَغي أن نخلُص." (أعمال ٤: ١٢)

مجدّداً، ووفقاً لكلمات الكاتب C.S. Lewis، عندما تدرسون بعمقٍ التصريحات العقائديّة التي قالها يسوع، لن تكون لكم خياراتٌ عديدةٌ. "فإمّا تقولون إنّ يسوع كان كاذباً، أو تكونون لطفاء قائلينَ إنّه كان مجنوناً، أو تركعون على ركبكم وتعبدونه وتدعونه ربّاً".

وبعد أن قدَّم يسوع هذه التصاريح العظيمة الثلاثة، أثار سؤالاً في ذهن فيلبّس، عندما قال: "لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُوْنِيْ لَعَرَفْتُمْ أَبِيْ أَيْضَاً. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُوْنَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوْهُ. قَالَ لَهُ فِيْلِبُّسُ يَاْ سَيِّدُ أَرِنَاْ الآبَ وَكَفَانَاْ. قَالَ لَهُ

يَسُوْعُ أَنَاْ مَعَكُمْ زَمَاْنَاً هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِيْ يَاْ فِيْلِبُّسُ. الذِيْ رَآنِيْ فَقَدْ رَأَىْ الآبَ." (يُوحَنَّا ١٤: ٧ و٨)

يُسَجِّلُ يُوحنَّا مائَة وأربَعةً وعشرينَ مرَّةً أشارَ فيها يسُوعُ إلى الآب في إنجيل يُوحَنَّا. بالنِّسبَةِ ليُوحَنَّا، أشارَ يسُوعُ إلى اللهِ الآبِ ثلاثَةً وأربَعينَ مرَّةً في خُلوَةِ العُلِّيَّة معَ رُسُلِهِ. وكانَ جَوهَرُ ما قالَهُ فيلبُّس، "أنتَ دائماً تَقُولُ: "الآب. الآب. الآب. أرِنَا الآب لِنَفهَمَ مَصدَرَ أهَمِّيَّتِهِ لكَ إلى هذا الحَدّ، وأنَّهُ ينبَغي أن يَكُونَ مُهِمَّاً بالنِّسبَةِ لنا أيضاً."

الطريقة التي أجابَ بها يسُوعُ فيلبُّس تُعطينا واحِداً من أعظَمِ تصريحاتِ يسُوع عن أُلُوهِيَّتِهِ. فبَينما يُقدِّمُ لنا لُوقا مَسِيَّا كانَ إنساناً، ووحَّدَ نفسَهُ معَ إنسانِيَّتِنا، يُقدِّمُهُ لنا كاتِبُ الإنجيل الرَّابِع كأكثَرِ من مُجَرَّدِ إنسان. فيسُوعُ الذي يُريدُنا يُوحَنَّا أن نعرِفَهُ ونُؤمِنَ بهِ، هُوَ الله. رأينا هذا التَّشديد عندما أدرَجنا تَصريحات يسُوعُ في الإصحاحاتِ ٥ -٨.

وكما هي الحالُ معَ مَوضُوعِ كَونِ يسُوع هُوَ المسيا وإبن الله، حقيقَةُ كَونِهِ كانَ في الجَسَدِ البَشَريّ مُشَدَّدٌ عليها أيضاً من خلالِ هذا الإنجيل (الإصحاحات ٥- ٨؛ ٢٠: ٣٠، و٣١). عندما قالَ يسُوعُ لِفِيلبُّس، "من رآني فقد رأى الآب"، نَجِدُ في ذلكَ أحدَ أوضعَ وأقوى تصريحات يسُوع بأنَّهُ هُوَ الله. كانَ يسُوعُ لا يزالُ يُجيبُ على سُؤالِ أو إستِفهام فيلبُّس عندما قالَ: "أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّيْ أَنَاْ فِيْ الآبِ والآبُ فِيَّ. الكَلامُ الذِيْ أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِيْ لَكِنَّ الآبَ الحَاْلَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَاْلَ نَفْسَهَاْ. الحَقَّ الحَقَّ أَقُوْلُ لَكُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِيْ فَالأَعْمَاْلُ التَيْ أَنَاْ أَعْمَلُهَاْ يَعْمَلُهَاْ هُوَ أَيْضَاً وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَاْ لأَنِّيْ مَاْضٍ الى أَبِيْ. وَمَهْمَاْ سَأَلْتُمْ بِاسْمِيْ فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالإِبْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئاً بِاسْمِيْ فَإِنِّيْ أَفْعَلُهُ". (يُوحَنَّا ١٤: ٩-١٤)

تأكَّدُوا من مُلاحَظَةِ الأسئِلة التي طرحَها كُلٌّ من بُطرُس، تُوما، وفيلبُّس، نتيجَةً لما قالَهُ يَسُوع. جوابُ يسُوع على تساؤُلِ فيلبُّس نجِدُهُ في إنجيلِ يُوحَنَّا ١٤: ٩ – ٢١). فلقد طرحَ يهُوَّذا سُؤالاً على يسُوع. جوابُ يسُوع على سُؤالِ يَهُوَّذا نجدُهُ في الأعدادِ الخِتامِيَّة من هذا الإصحاح. الطَّريقَةُ التي تجاوَبَ بها يسُوعُ معَ هَؤُلاءِ الرُّسُل تَصِلُ بنا إلى جوهَرِ

الحوارِ الذي أقامَهُ يسُوعُ معَ هؤُلاء الرِّجال، بعدَما إنسحبَ ليأخُذَ خُلوَةً معَهُم قبلَ توقيفِهِ وصَلبِهِ وقيامَتِهِ.

جوهَرُ حوارِ العُلِّيَّةِ هذا يتعلَّقُ بالدِّيناميكيَّةِ التي كانَ ينبَغي أن يتمتَّعُوا بها، إذا أرادوا أن يَصِلُوا إلى العالم بإنجيلِ المسيح الذي علَّمَهُم إيَّاهُ، وعاشَهُ أمامَهُم ودرَّبَهُم على العَيشِ بِحَسَبِهِ، وعلى الكرازَةِ بهِ وتعليمِهِ لكُلِّ أُمَمِ العالم. يُقَدِّمُ يَسُوعُ الآنَ مَفهُوماً ينبَغي أن يتعزَّزَ في الإصحاحِ الخامِس عَشَر، معَ إستِعارَةِ الكَرمَةِ و الأغصان (١٥: ١- ١٦). ولقد علَّمَ هذا المَفهُوم سابِقاً عندما قالَ: "أنا والآب واحدٌ". (يُوحَنَّا ١٠: ٣٠) في جوابِهِ لِفِيلبُّس طَرحَ السُّؤال، "أتُؤمِنُ أنِّي أنا في الآب والآبُ فيَّ؟" ثُمَّ وضعَ أمامَ تلاميذِهِ التَّحدِّي بأن يُؤمِنُوا بتصريحِهِ هذا، على أساسِ الأعمالِ التي شَهِدُوها في السنَّواتِ الثَّلاث الأخيرة.

عندما قالَ، "أنا والآبُ واحِد،" أظنّه شَبَكَ يديه الإثنتينِ عندما كانَ يقُولُ ما جَوهَرُ معناهُ: "أنا والآب مُرتَبطانِ معاً حتماً. أنا مرتبطٌ بالآب وهو مرتبطٌ بي. أنا متّحدٌ معه وهو متّحدٌ معي. أنا في الآب وهو فيّ. فكلّ عملٍ أقوم به وكُلُّ كَلِمَةٍ أقُولُها هي فيضٌ من تلك العلاقة التي تربطني بالآب".

فما يقصده هو التالي: "منذُ ثلاثِ سنواتٍ وحتَّى الآن إندَهَشتُم بالأقوالِ التي سَمِعتُمُوني أتكلَّمُ بها والأعمال التي رأيتُمُوني أعمَلُها. عليكُم أن تفهَمُوا أنَّ كَلِمَةَ الآبِ التي تكلَّمَ بها على الأرض من خلالِي، وعمل الآب الذي عُمِلَ على الأرضِ من خلالِي، هي بسببِ كَونِنا واحداً – أنا في الآب والآبُ فيَّ. فكُلُّ كَلِمَةٍ تسمَعُوني أقُولُها، وكُلُّ عمَلٍ ترَونَني أعمَلُهُ، هي بالحقيقَةِ كَلِمَةُ الآب وعمَلُهُ - وهي نتيجَةٌ لوِحدَتي معَ الآب."

نَصلُ الآنَ إلى القسم الأكثَر إثارَةً في حِوارِ العُلِّيَّة، وذلكَ عندما يقُولُ الرَّبُّ: "الحَقَّ الحَقَّ أَقُوْلُ لَكُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِيْ فَالأَعْمَالُ التَيْ أَنَاْ أَعْمَلُهَاْ يَعْمَلُهَاْ هُوَ أَيْضاً وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَاْ لأَنِّيْ مَاْضٍ الى أَبِيْ". وما يقصده هنا هو التالي: "سأترككم الآن، وسأطلب من الآب أن يمنحكم الروح القدس. عندما يأتي المعزّي، أي الروح القدس، إذا كنتم متّحدين مع الروح القدس كما أنا متّحدٌ مع الآب، عندئذٍ سيتمّ عمل الآب على الأرض من خلالكم، وسيتكلّم الآب على الأرض من خلالكم". (يُوحَنَّا ١٤: ٩- ١٣)

هُنا نكتَشفُ أحد أعظم التحدّيّات في العهد الجديد عندما يَعِدُ يسُوعُ قائِلاً ما معناهُ: "إن كُنتُم واحداً معَ الرُّوحِ كما أنِّي أنا معَ الآب، تعمَلُونَ أعمالاً أعظَمَ من هذه، لأني ماضٍ إلى أبي."

إلى أن فَهِمَ التَّلاميذُ مفهُومَ كَونِ يسُوع في الآب والآب في يسُوع، لم يَكُن مُمكِناً بِدُونِ ذلكَ أن يستَوعِبُوا الحقيقَةَ المجيدة عن وعدِهِ أنَّ أُولئكَ الذين يُؤمِنُونَ بهِ سيتكلَّمُونَ كما تكلَّمَ هُوَ، وسيعمَلُونَ الأعمال التي رأوهُ يعمَلُها. فهُم ما كانُوا سيفهَمُونَ ما قالَهُ يسُوع عندما وعدَ أنَّ أُولئكَ الذين آمنُوا بهِ سيعمَلُونَ أعمالاً أعظماً من التي عَمِلها هُوَ.

هذا ينبَغي أن يعني أنَّ هذه الأعمال ستَكُونُ أعظَمَ بمعنى الكمِّيَّة وليسَ النَّوعِيَّة. فيسُوعُ سيَقُولُ لاحِقاً في هذا الحوار أنَّهُ منَ الأفضَل أن يمضِيَ هُوَ إلى الآب ويُكَلِّفَ مُهِمَّةَ تبشيرِ العالم للأحد عشَر تلميذاً (يُوحَنَّا ١٦: ٧). ما يقصُدُهُ هُوَ أنَّهُ عندما يفهَمُ هؤُلاء الرِّجال ويختَبِرُونَ القُوَّةَ الدِّينامِيكيَّةَ التي كانَ قد بدأَ بتعليمِهِم عنها، والتي كان سيُوضِحُها لهُم لاحِقاً في البُستان، فإنَّ هذا سيَكُونُ تدبيراً ضَرُورِيَّاً لأنَّهُ سيكُونُ هُناكَ المزيدُ من التّلاميذ الذين سيُطَبِّقُونَ هذه الدِّينامِيكيَّة حولَ العالم في نفسِ الوقت.

كتبَ بُولُس الرَّسُول يَقُولُ أنَّ المَسيحَ أخلى نفسَهُ من مِيزاتِهِ الإلهيَّة، كميزَةِ الحُضُورِ في كُلِّ مكان، أو إمكانِيَّةِ الحُضُورِ في كُلِّ مكانٍ في الوقتِ نفسِهِ (فيلبِّي ٢: ٧). أحدُ الأبعادِ المُربِكة من حياةِ وخدمَةِ يسُوع، هي أنَّهُ تَرَكَ أثراً على العالَمِ بأسرِهِ بدُونِ راديو ولا تلفزيون ولا طباعَةِ كُتُب ولا كُومبيوتر ولا هاتف خُلَيويّ، وحتَّى بِدُونِ السَّفَرِ إلا في رحلاتٍ لا تتعدَّى بضعَ مئاتٍ منَ الكِيلُومترات في حياتِهِ بكامِلِها. عندما نطقَ يسُوعُ بهذه الكلمات، عرفَ أنَّ هؤُلاء الرِّجال قَريباً سيَكُونُونَ "جسدَهُ"، وسوفَ يَكُونُ هُوَ مَوجُوداً في كُلِّ مكانٍ من خلالِهِم، في كُلِّ أنحاءِ العالم.

لقد وظَّفَ يسُوعُ ثلاثَ سنين من حَياتِهِ القَصيرَة على الأرض لتَدريبِ رُسُلِهِ. ولقد وضعَ أمامَهم تحدِّي ما أُسمِّيهِ "الخُلوة المسيحيَّة الأُولى." بعدَ هذه الخُلوة، كَلَّفَهُم ليَكُونُوا رُسُلَهُ أو مُرسَليه. معنَى هذه الكلمة يُشبِهُ كلمة "مُرسلين" التي نستَخدِمُها اليوم. التَّعليمُ في تلكَ الخُلوة، الذي نراهُ مُسَجَّلاً في ثلاثَةِ إصحاحاتٍ من إنجيلِ متَّى، معروفٌ تحتَ عُنوان، "المَوعِظَة على الجَبَل." (متَّى ٥- ٧)

لقد رافَقُوهُ لمُدَّةِ ثلاثِ سنواتٍ في خدمَتِهِ العَلَنِيَّة. فسَمِعُوا كُلَّ تعليمِهِ، وشاهَدُوا كُلَّ عجائبِهِ، وأصغُوا للحوارِ العدائِيِّ الذي أقامَهُ مراراً معَ رِجالِ الدِّين. لم يَكُونُوا قادِرينَ دائماً على سماعِ الحِوار، ولكنَّهُم لاحَظُوا الخلفيَّة والنتيجة لِكلِّ لِقاءاتِ يسُوع معَ الأفراد.

سبقَ وعَرَفنا أنَّهُ عندما إلتَقى بعضُ هؤُلاء يسُوع، حضَّهُم لأن يأتُوا وينظُرُوا أينَ يمكُث. بحَسَبِ إحدَى التَّرجمات، عندما أعطاهُم ما نُسَمِّيهِ المأمُوريَّةَ العُظمى، أمرَهُم بأن يُتَلمذُوا أُناساً، وأن يُعَلِّموا هؤُلاء الذين تلمَذُوهُم كُلَّ ما أمرَهُم بهِ يسُوع بأن يحفَظُوه (متَّى ٢٨: ١٨- ٢٠). لقد عاشَ تلاميذُهُ معَهُ وكانُوا يُراقِبُونَ حياتَهُ لثلاثِ سنواتٍ.

قالَ أحدُهُم أنَّ يسُوعَ عمِلَ ثلاثَةَ أُمُورٍ معَ هؤُلاءِ الرِّجال: علَّمَهُم، أظهَرَ لهُم حقيقَةَ ما علَّمَهُم بهِ وأرسَلَهُم لإختبارِ الخدمة، ودرَّبَهُم. نَحنُ الآنَ على وَشَكِ أن نرى كيفَ عبَّرَ يُوحَنَّا عن مأمُوريَّةِ يسُوع للرُّسُل وكيفيَّةِ إرسالِهِم إلى العالِمِ أجمَع من أجلِهِ.

عندما كتبَ يُوحَنَّا في مُقَدِّمَتِهِ أنَّ النِّعمَةَ والحَقَّ صارَا بيَسُوع المسيح، قصدَ أنَّ الحقَّ جاءَ من خلالِ مُوسى ويسُوع، ولكنَّ يسُوعَ أرفَقَ الحقَّ الذي كانَ هُوَ إيَّاهُ بنعمَةِ تطبيقِ وعَيشِ هذا الحَقّ. وهذا يعني من بَينِ ما يعنيهِ أنَّ مَشيئَةَ اللهِ لن تأخُذَنا البَتَّةَ إلى حَيثُ لا تستَطيعُ نِعمَةُ اللهِ أن تحفَظَنا. ويعني أيضاً أنَّ يسُوعَ لن يُصدِرَ مأمُوريَّةً بِدُونِ مَنحِ نعمَةٍ كافِيَة لطاعَةِ هذه المأمُوريَّة.

وكما أجابَ يسُوعُ كُلاً من فيلبُّس ويَهُوَّذا لَيسَ الإسخَريُوطِيّ، نَجِدُهُ هُنا يبدَأُ بِوَصفِ الدِّينامِيكيَّة التي ستَصِلُ إلى العالَمِ كُلِّهِ بإنجيلِهِ. فبعدَ خمسمائة عام من تفويضِ المسيح لرُسُلِهِ بالمأمُوريَّةِ العُظمى، كانَ إنجيلُهُ قد أصبحَ معرُوفاً وقد آمنَ بهِ النَّاسُ في العالَمِ الرُّومانِيِّ قاطِبَةً.

وكَما أشَرتُ في الإصحاحِ السَّادِس عَشَر، سمَّى يسُوعُ هذا التَّرتيب بالضَّرُورَة. ففي ذلكَ الإصحاح، يذكُرُ يُوحَنَّا جوهَرَ ما قالَهُ يسُوعُ لتلاميذِهِ: [منَ الأنفَعِ لكُم أن أتخَلَّى عن هذا الجَسَد، لأنَّني عندَما أتخلَّى عنهُ، أينَما ستَكُونُونَ سأكُونُ فيكُم وستَكُونُونَ فِيَّ، كما أنِّي أنا في الآبِ والآبُ فيَّ الآن. فهذا يعني أنَّهُ حيثُ يُوجَدُ أيُّ واحِدٍ منكُم، هُناكَ سأكُونُ أنا مَوجُوداً.]

هذا يعني أنَّكُم عندما تَسلُكُونَ وتَخدُمُونَ بإتِّحادٍ مع الرَّبِّ وعندَما يعمَلُ هُوَ فيكُم ومن خلالِكُم، وعندَمَا تخلُدُونَ إلى فراشِكُم لَيلاً مَنهُوكي القِوى، في الجِهَةِ الأُخرى منَ العالم حَيثُ إخوتُكُم وأخواتُكُم يسلُكُونَ ويخدُمُونَ، سيَكونُ وقتُ إستِيقاظِهِم وبدئِهم نهارَ عملٍ وخدمَةٍ للرَّبّ. فلا يُوجدُ وقتٌ حولَ الكُرَةِ الأرضِيَّة حيثُ لا يُخدَمُ فيهِ يسُوع، أو لا يُكرَزُ بهِ من خلالِ كنيستِهِ.

هذا تعليمٌ ديناميكيٌّ حَيَويّ. وإنطِلاقاً من هذا التَّعليم أعطاهُم يسُوعُ الوعدَ الرَّائِعَ القائِل، "كُلّ ما طَلَبتُم منَ الآبِ بإسمِي يُعطيكُم." (يُوحَنَّا ١٦: ٢٣).

هذا لا يعني أنّه يمكنكم الحصول على أيّ شيءٍ تريدونه. ثمّة بعض الشُّرُوط التي ينبَغي تَلبِيَتُها عندما تُصَلُّون. عليكم أن تطلبوا بإسمه بطريقةٍ يمجِّد الإبن فيها الآب. أن تطلُبُوا بإسمِهِ يعني أن تطلُبُوا مكانَهُ، أو أن تطرَحُوا السُّؤال، "ماذا كانَ سيطلُب يسُوع؟" كتبَ بُولُس قائِلاً لنا أنَّهُ إن كنتم تُحِبُّون الآب ومدعوّينَ بحسب أهدافه، عندئذٍ "كُلُّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعَاً لِلْخَيْرِ". (رُومية ٨: ٢٨) عندما نقرَأُ هذه الكلمات علينا أن نسألَ أنفُسَنا هذا السُّؤال: "خَيرُ مَن – خَيرُنا أم خَيرُ الله؟"

في رِسالَتِهِ القَصيرَة، التي تَجِدُونَها في نهايَةِ العهدِ الجديد، يُشَدِّدُ يُوحَنَّا على الشِّرطِ القائِلِ أنَّنا عندَما نُصَلِّي، علينا أن نطلُبَ ما ينسَجِمُ معَ إرادَةِ الله (١يُوحَنَّا ٥: ١٤). أن نطلُبَ بإسمِهِ يعني أن نطلُبَ ما ينسَجِمُ معَ جوهَرِ هُوِيَّةِ المسيح، ومع ما يُمَجِّدُ الآب. عندئذٍ يمكِنُنا أن نطلبَ أيّ شيءٍ باسمه وهو سيستجيب لنا.

هنا يُظهِرُ لهُم يسُوعُ مِفتاحَ هذه الدِّينامِيكيَّة عندَما يُعَلِّمُ قائِلاً: "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَنِيْ فَاْحْفَظُوْا وَصَايَايَ. وَأَنَاْ أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيَكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ الى الأَبَدِ. رُوْحُ الحَقِّ الذِيْ لا يَسْتَطِيْعُ العَاْلَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لا يَرَاْهُ وَلا يَعْرِفُهُ. وَأَمَّاْ أَنْتُمْ فَتَعْرِفُوْنَهُ لأَنَّهُ مَاْكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُوْنُ فِيْكُمْ. لا أَتْرُكُكُمْ يَتَاْمَىْ. إِنِّيْ آتِيْ إِلَيْكُمْ. بَعْدَ قَلِيْلٍ لا يَرَاْنِيْ العَاْلَمُ أَيْضاً وَأَمَّاْ أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِيْ. إِنِّيْ أَنَاْ حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ".

"فِيْ ذَلِكَ اليَوْمَ تَعْلَمُوْنَ أَنِّيْ أَنَاْ فِيْ أَبِيْ وَأَنْتُمْ فِيَّ وَأَنَاْ فِيْكُمْ. الذِيْ عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَاْ فَهُوَ الذِيْ يُحِبُّنِيْ. وَالذِيْ يُحِبُّنِيْ يُحِبُّهُ أَبِيْ وَأَنَاْ أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاْتِيْ". (يُوحَنَّا ١٤: ١٥- ٢١)

يبدُو أنَّ جوابَهُ المُطَوَّل على سُؤالِ فِيلبُّس كانَ المقصُود بهِ إثارَةُ سُؤالٍ آخر من تلميذٍ آخر إسمُهُ يَهُوَّذا. في تلك الأيّام، كان إسم يهوّذا إسماً شائعاً. فطرح يهوّذا الرَّسُول السؤال التالي: "يَاْ سَيِّدُ مَاْذَاْ حَدَثَ حَتَّىْ إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاْتَكَ لَنَاْ وَلَيْسَ لِلْعَاْلَمِ". فأجابه يسوع: "إِنْ أَحَبَّنِيْ أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِيْ وَيُحِبُّهُ أَبِيْ وَإِلَيْهِ نَأْتِيْ وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً. الذِيْ لا يُحِبُّنِيْ لا يَحْفَظُ كَلاَمِيْ. وَالكلامُ الذِيْ تَسْمَعُوْنَهُ لَيْسَ لِيْ بَلْ لِلآبِ الذِيْ أَرْسَلَنِيْ". (يُوحَنَّا ١٤: ٢٢- ٢٤)

لقد كانَ سُؤالُ يَهُوَّذا سُؤالاً عمليَّاً رائِعاً. كانَ يقُولُ يسُوعُ أنَّهُ سوف يَمُوت. هذا ما قَصَدَهُ عندما قالَ لهم أنَّهُ ماضٍ إلى حيثُ لم يَكُنْ بإمكانِهِم أن يتبَعُوهُ بعَد. ولقد كانَ يَقُولُ لهُم أيضاً أنَّهُم سيَكُونُونَ على علاقَةٍ حميمَةٍ أقرَب إليهِ بعدَ أن يمضيَ إلى هذا المكان الذي لم يَكُن بإمكانِهِم أن يمضُوا إليهِ بعد. كانَ يَهُوَّذا يسألُ ما جَوهَرُ معناهُ، "كيفَ ستكُونُ لكَ هذه العلاقة الحميمة الأقرَب معنا، بينما غيرُ المُؤمِنينَ حولَنا لن يَكُونُوا على علمٍ بعلاقَتِنا هذه مَعَ بعضِنا البَعض؟"

لاحِظوا أنَّهُ في جوابِهِ على سُؤالِ يَهُوَّذا، كرَّرَ يسُوعُ ما علَّمَهُم بهِ في جوابِهِ على سُؤالِ فيلبُّس عندَما قالَ، "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَنِيْ فَاْحْفَظُوْا وَصَاْيَاْيَ." (يُوحَنَّا ١٤: ١٥) عندما أجابَ يسُوعُ على أسئِلَةِ فيلبُّس ويَهُوَّذا، أعطانا جَواباً آخَر على السُّؤال، "ما هُوَ الإيمانُ؟" لقد علَّمنا بذلكَ أنَّ الإيمانَ هُوَ مُرادِفٌ للطَّاعَة.

يُوافِقُ يعقُوبُ أخُو الرَّب يسُوع، مَعَ أخيهِ عندما يكتُبُ قائِلاً بأنَّهُ لا يُوجَدُ ما يُسمَّى "الإيمان فقط"، أو بأنَّهُ لا يُوجَدُ إيمانٌ بدُونِ بُرهانٍ يُرافِقُ الإيمانَ الحقيقيّ ويُزَكِّيهِ. فبالنِّسبَةِ إلى يَعقُوب، الإيمانُ سيترافَقُ ويُبَرهَنُ دائماً بالأعمال، أو بالطَّاعَة (يعقُوب ٢: ١٤- ٢٤). كتبَ يعقُوبُ ما جَوهَرُ معنَاهُ، "الإيمانُ وحدَهُ يَقدِرُ أن يُخَلِّصَنا، ولكن لا يُوجَدُ ما يُسمَّى بالإيمانِ وحدَهُ." كانَ يُوجَدُ قسِّيسٌ لُوثَرِيٌّ في ألمانيا، يُدعَى Dietrich Bonhoffer، كتبَ يَقُول: "وحدَهُ الذي يؤمنُ يُطيع ووَحدَهُ الذي يُطِيعُ يؤمنُ."

ولقد علَّمَ يسُوعُ أيضاً أنَّ الطَّاعَةَ هي الطَّريقَةُ التي يَستطيعُ بها تلميذُهُ الحَقيقي أن يُعَبِّرَ عن محبَّتِه لهُ. بالحقيقَة، إنَّهُ يَقُولُ، "إن كنتم تحبّوني تُظهِرُون محبَّتَكم عبر طاعتكم لِما آمُركم به". (يُوحنَّا ١٤: ١٥، ٢١)

وها هُوَ يسُوعُ يَقُولُ ليَهُوَّذا الأمرَ نفسَهُ الذي قالَهُ لفِيلبُّس عندما أجابَ على سُؤالِ فيلبُّس (٩- ١٦). عندما تدرُسُونَ الطريقة التي أجابَ بها فيلبُّس، لاحِظُوا كيفَ تربِطُ "واو العَطف" بينَ طاعَةِ وصاياه وبينَ وعدِهِ: "وعندما تحبّونني وتطيعونني، سأطلب من الآب أن يمنحكم المعزّي، أي الروح القدس". لقد قالَ يسُوع لِفِيلبُّس: "قُومُوا بِدَورِكُم وسأقُومُ أنا بِدَورِي." وفي جوابِهِ ليَهُوَّذا، لاحِظُوا هذا المبدَأَ نفسَهُ: الطَّاعَةُ تَقُودُ إلى علاقَةٍ معَ الآب، الإبن، والرُّوح القُدُس. فالآبُ والإبنُ والرُّوحُ القُدُس سيصنَعُونَ مَنزِلاً في قُلُوبِ أُولئكَ الذين يُطِيعُونَ وصايا يسُوع. (يُوحَنَّا ١٤: ٢٣-٢٦).

عندما يُريدُ اللهُ أن يعمَلَ شَيئاً في حياتِنا، مثل وَجهَي العِملة الواحِدة، سوفَ نجِدُ أنَّهُ يُوجَدُ دائماً دَورٌ لنا ودَورٌ لله. وبينما نتأمَّلُ بما علَّمَهُ يسُوعُ في أجوبَتِهِ على أسئِلَةِ فيلبُّس ويَهُوَّذا، علينا أن نطرَحَ السُّؤال، "ما هُوَ دَورُ الله وما هُوَ دَورُ الإنسان في الولادَةِ الجديدة؟ وهل لدَينا دَورٌ لنَلعَبَهُ في مُعجِزَةِ ولادَتنا الجديدة؟ بِحَسَب يسُوع وبحَسَبِ أخيهِ، لدينا دائماً دَورٌ لنَلعَبَهُ عندما نُولَدُ من جَديد. يُمكِنُ التَّعبيرُ عن دَورِنا بكلِمَةٍ واحِدَة، وهذه الكلمة هي أن "نُؤمِن." فدَورُنا في الولادَةِ الجديدة هوَ الإيمانُ الحقيقيّ.

عندَما قالَ يسُوعُ لِنِيقُوديمُوس أنَّهُ علينا أن نُولَدَ من جَديد، طَرَحَ مُعَلِّمُ النَّامُوسِ المُمَيَّز مَرَّتَين السُّؤالَ، "كيف؟" وكانت إجابة يسوع بكلِمَةٍ واحِدة: "الإيمان". أنتم تؤمنون ثمّ يقوم اللهُ بدوره، فتُولَدُونَ من جَديد. دَورُ اللهِ لُغزٌ يُشبِهُ الرِّيح. في الإصحاحِ الثَّالِث من إنجيلِ يُوحَنَّا، قرأنا أنَّهُ ليسَ منَ الضَّرُورِيّ أن نفهَمَ دَورَ اللهِ في الولادَةِ الجديدة لكَي نُولَدَ ثانِيَةً، تماماً كما أنَّهُ ليسَ ضَرُورِيَّاً لنا أن نفهَمَ أُصُولَ طِبِّ التَّوليد النِّسائِي لكَي نُولَدَ جسديَّاً من أُمَّهاتِنا. نحتاجُ فقط أن نفهَمَ دَورَنا، ألا وهُوَ أن نُؤمِن.

عندما أخبَرَ يسُوعُ الرُّسُلَ عنِ الحقيقَةِ المُعجِزِيَّة لمجيءِ الرُّوحِ القُدُس، بِحَسَبِ ما قالَهُ لهُم، ما هي الدِّيناميكيَّة التي تَقُودُ إلى علاقَةٍ معَ الرُّوحِ القُدُس؟ الكَلِمَة المِفتاحِيَّة التي تَحُلُّ لُغزَ خدمةِ الرُّوح في حياتِنا هي

كَلِمَة "طاعَة." إن كُنتُم تُحِبُّونَني، إحفَظُوا وصاياي. و[عندها] أَطلُبُ منَ الآبِ، ليُرسِلَ لكُم المُعزِّي، الرُّوح القُدُس، الذي سيَكُونُ معَكُم إلى الأبد." (يُوحَنَّا ١٤: ١٥، ٢٣- ٢٦) يُعطِي يسُوعُ الرُّوحَ القُدُسَ لأُولئكَ الذينَ يُحِبُّونَهُ، ويُبَرهِنُونَ ويُفَعِّلُونَ محبَّتَهُم لهُ بطاعَتِهِم إيَّاهُ.

يوم الخَمسين، عندما كانت تجري كُلُّ العلامات والآيات، وعظَ بُطرُس قائِلاً أنَّ المسيحِ الحَيِّ المُقام كانَ يمنَحُ الرُّوحَ القُدُسَ لأُولئكَ الذين يُطيعُونَهُ (أعمال ٢: ٣٣؛ ٥: ٣٢). الشَّرطُ الذي ينبَغي تَوَفُّرُهُ قبلَ إعطاء المسيح الرُّوحَ القُدُس بحَقٍّ وقُوَّة، كانَ الطَّاعَة.

عندما عرَّفَ يسُوعُ الرُّسُلَ على مَفهُومِ مجيءِ الرُّوحِ القُدُس، أوضحَ تماماً أنَّ الطَّاعَةَ هي مفتاحُ القُبُول و التَّجاوُب معَ الرُّوحِ القُدُس. لهذا علينا أن لا نتعجَّبَ عندما نسمَعَ بُطرُس يُعلِنُ أنَّ الرُّوحَ القُدُسَ أُعطِيَ لأُولئكَ الذين أطاعُوهُ.

بِحَسَبِ الإصحاحاتِ الأُولى من سفرِ الأعمال، كانَ الرُّوحُ القُدُسُ قد أُعطِيَ بالحقيقَةِ لتأهيلِ التَّلاميذ أن يُطِيعُوا ويُطبِّقُوا المأمُوريَّة العُظمَى. عندَما أعطَى يسُوعُ المأمُوريَّةَ العُظمَى، قالَ لأتباعِهِ أن لا يُنَفِّذُوا تلكَ المأمُوريَّة قبلَ أن ينالُوا القُوَّة التي سيقبَلُونَها يومَ الخَمسين (أعمال ١: ٨؛ ٢: ١ و٤؛ ٥: ٣٢). الرُّوح القُدُس يُعطَى لتمكينِ المُؤمنينَ من طاعَةِ وصايا يسُوع المسيح، ولا سِيَّما مأمُوريَّتَهُ العُظمَى.

ولقد قالَ يسُوعُ أيضاً لتلاميذِهِ في العُلِّيَّة أنَّهُ سيمنَحُهُم الرُّوحَ القُدُس، لأنَّهُ لا يُريدُ أن يترُكَهُم يتامَى. ثُمَّ أعطاهُم وعداً يصعُبُ فهمُه. لكي نُلَخِّصَ أعداداً مثلَ هذه، كَتِلكَ التي تُسجِّلُ جوابَهُ على سُؤالِ يَهُوَّذا، علينا أن نستَنتِجَ أنَّ اللهَ يُوجَدُ في ثلاثَةِ أشخاصٍ، وكُلُّ واحِدٍ من هؤُلاء الأشخاصِ الثلاثة هُوَ الله. هَؤُلاء الأشخاص الثلاثة منَ الثَّالُوثِ القُدُّوس مَوجُودُونَ جميعاً هُنا: اللهُ الآب، يسُوع المسيح الإبن، والرُّوحُ القُدُس، جميعاً يأتُونَ ليَسكُنُوا فيكَ وفِيَّ عندما نُطيعُ كلماتِ يسُوع – بِحَسَبِ ما يُعَلِّمُهُ يسُوعُ هُنا، خلالَ أجوِبَتِهِ على أسئِلَةِ فيلبُّس ويَهُوَّذا.

يَقُولُ يسُوعُ هُنا في الإصحاح ١٤ ما جَوهَرُ معناهُ: "أنا ماضٍ بعيداً، ولكن بعدَ أن أرجِعَ إلى الآب، وبعدَ أن أعمَلَ الأفضلَ بأن أتخلَّى عن هذا الجَسَد الأرضِيّ، سنَكُونُ أنا وأنتُم أكثَرَ قُرباً من أيِّ وقتٍ مضى. فسأُعلِنُ

لكُم ذاتِي، وبما أنَّني أنا حَيٌّ، فأنتُم ستَحيَون. وسوفَ نكَونُ أقرَبَ لبَعضِنا من ذي قَبل، وأكثَرَ وحدَةً ممَّا كُنَّا عليهِ عندما كُنتُ مَحدُوداً بهذه الجسدِ الذي عِشتُ فيهِ لمُدَّةِ ثلاثٍ وثلاثِينَ سنَةً."

بإمكانِنا أن نرى كيفَ ساهَمت كَلِماتُ يسُوع هذهِ بإثارَةِ سؤالٍ لدى يهوّذا: "يَا سَيِّدُ، كيفَ ستَكُونُ بينَنا هذه العلاقَة؟ وكيفَ ستَكُونُ لدينا علاقَةٌ حميمَةٌ معكَ، وغيرُ المُؤمنينَ حولَنا لن يعلَمُوا عن علاقَتِنا هذه؟ كيفَ ستعمَلُ ذلكَ؟"

دِراسَةٌ أعمَق لجَواب يسُوع على سُؤالِ يَهُوَّذا، تُظهِرُ لنا الدِّينامِيكيَّة التي تَقُودُ إلى علاقَةٍ حميمَةٍ معَ المسيح من خلالِ الرُّوحِ القُدُس، والتي تَقُولُ ما معناهُ: "إِنْ أَحَبَّنِيْ أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلامِيْ وَيُحِبُّهُ أَبِيْ وَإِلَيْهِ نَأْتِيْ وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً. الذِيْ لا يُحِبُّنِيْ لا يَحْفَظُ كَلامِيْ." (يُوحَنَّا ١٤: ٢٣- ٢٦)

ويختُمُ هذا الجواب الدِّينامِيكيّ مُؤكِّداً: "وَالكلامُ الذِيْ تَسْمَعُوْنَهُ لَيْسَ لِيْ بَلْ لِلآبِ الذِيْ أَرْسَلَنِيْ. بِهَذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَمَّا المُعَزِّيْ الرُّوْحُ القُدُسُ الذِيْ سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِيْ فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ". (يُوحَنَّا ١٤: ٢٤- ٢٦)

يُلَخِّصُ يسُوعُ أجوبَتَهُ على الأسئِلَةِ الخمسة التي طرحَها عليهِ الرُّسُل، عندما يتكلَّمُ بكلماتِ التَّعزِيَة لهؤلاءِ الرُّسُلِ المُضطَّربين: "سَلاماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلامِيْ أُعْطِيْكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِيْ العَالَمُ أُعْطِيْكُمْ أَنَا. لا تَضْطَرِبْ قُلُوْبُكُمْ وَلا تَرْهَبْ. سَمِعتُم أنِّي قُلتُ لكُم أنا أَذهَبُ ثُمَّ آتِي إليكُم. لو كُنتُم تُحِبُّونَني لكُنتُم تَفرَحُونَ لأنِّي قُلتُ أمضِي إلى الآب. لأنَّ أبِي أعظَمُ منِّي. وقُلتُ لكُمُ الآن قَبلَ أن يَكُونَ حتَّى متى كانَ تُؤمِنُون."

كَلِماتُهُ عنِ السَّلامِ والتَّعزِيَة أتبَعَها يسُوعُ بحقائِقَ قاسِيَة: "لا أتَكَلَّمُ أيضاً معَكُم كثيراً لأنَّ رَئيسَ هذا العالم يأتي وليسَ لهُ فِيَّ شَيء. ولكن لِيَفهمِ العالَمُ أنِّي أُحِبُّ الآبَ وكما أوصانِي الآبُ هكذا أفعَلُ. قُوموا ننطَلِقُ من هَهُنا." (يُوحَنَّا ١٤: ٢٧- ٣١).

في أجوبَتِهِ على الأسئِلَةِ التي طرَحَها عليهِ رُسُلُهُ، علَّمَ حقائِقَ عميقَة. فلقد قامَ للمرَّةِ الثَّانِيَة بِتَطييبِ قُلُوبِهِم، وذلكَ عندما قالَ لهُم: "لا تَضطَّرِبْ قُلُوبُكُم." علينا أن نتذكَّرَ أنَّ هؤُلاء الرِّجال كانُوا مُرتَعدينَ خَوفاً لأنَّهُم علِمُوا أنَّ اليَهُودَ كانُوا يتآمَرُونَ لإقناعِ الرُّومان بأن يقتُلُوا يسُوع. ومن

خلالِ التَّصاريح التي أعطاهم إيَّاها يسُوع، كانَ لديهم أسبابُهم ليقتَنِعُوا بأنَّهُم سيَمُوتُونَ معَ مُعَلِّمِهم. في الإصحاح الثَّانِي عشَر، نقرَأُ أنَّ يسُوعَ أخبَرَهم أنَّـهُ سيُدفَنُ فـي الأرضِ مثلَ البُذُور، لكـي يصيرَ مُثمراً، وأنَّـهُ يتوقَّعُ هذا أيضـاً مـن أُولئـكَ الـذين يعتَبِـرُونَ أنفُسَـهُم تلاميـذَهُ. فـي النِّهايَـة، جميـعُهم بإستِثناءِ واحِدٍ فقط إستَشهَدُوا كَمُعَلِّمِهم.

يُخبِرُنا التَّقليدُ أنَّ كاتِبَ هذا الإنجيل تمَّ وَضعُهُ في الزِّيتِ المَغلِيّ، ولكنَّهُ لم يَمُتْ. فنُفِيَ إلى جَزيرَةِ بَطمُس، التي هرَبَ منها لاحِقاً، وكَشَيخٍ طاعِنٍ في السِّنّ، قامَ بِتَدوينِ إنجيلَهُ، الذي كُتِبَ بعدَ عُقُودٍ من كتابَةِ الأناجيلَ المُتشابِهَة النَّظرَة، أي متَّى، مرقُس، ولُوقا. أمَّا الرُّسُل العشر الباقُون الذي سَمِعُوا كلمـاتِ يسُـوع، فجميعُهم مـاتُوا كشُـهداء للمسيح. لَرُبَّمـا آمنُـوا أنَّ إستِشهادَهُم كانَ وَشيكاً عندما سمِعُوا أجوبَة يسُوع على أسئِلَتِهم.

عندما إنتَهَى يسُوعُ منَ الإجابَةِ على أسئِلَتِهم، فِي كَلِماتِهِ الأخيرة نَجِدُ جُملَةً وجدتُ أنَّها تمنَحُ الكثيرَ منَ التَّعزِيَـةِ والتَّشجِيع لأُولئـكَ الـذين يفقُدُونَ عَزيزاً عليهِم من الذين عاشُوا في المسيحِ وخدمُوا المسيح لسنواتٍ طَويلـة. فعندَما يمُوتُ أحدُ المُؤمنينَ الأتقِياء، كثيراً ما أقرأُ أمامَ القَبرِ هذا العدد القائِل: "لو كُنتُم تُحِبُّونَني لكُنتُم تفرَحُونَ لأنِّي قُلتُ أمضِي إلى الآب." يُوحَنَّا ١٤- ٢٨).

عِظَةُ دَفنِ يسُوع

إحدَى طُرُقِ تلخيصِ هذا الإصحاح هي بالقَولِ أنَّ يسُوعَ يَعرِفُ أنَّـهُ على وَشَكِ المَوت، وأنَّهُ قرَّرَ أن يُلقِيَ عِظَةِ دفنِهِ الخاصّ. لطالَما فكَّرتُ أنَّهُ معَ تطوُّرِ الأجهزَة الإلكترونيَّة المُتوفِّرَة لدينا اليوم، قد يُفَكِّرُ قسِّيسٌ جدِّيَّاً بـأن يُسَـجِّلَ عِظَـةَ دَفنِـهِ علـى آلَـةِ تسجيل، لِكَـي يـتمَّ إسماعُها للنَّـاسِ الـذي سيحضُرُونَ دفنَهُ بعدَ مَوتِه.

لقـد كـانَ جَـوهَرُ معنـى رِسـالَة يسُـوع كالتَّـالِي: "لا تَـدَعُوا قُلُـوبَكُم تضطَّرِبْ، لأنَّهُ يُوجَدُ مكان. وأنا ذاهِبٌ إلى ذلكَ المكـان، وسوفَ أُحَضِّـرُهُ لكُم. وسوفَ آتي ثانِيَةً وآخُذُكُم معي إلى ذلكَ المكان، حيثُ سنبقَى معاً إلـى الأبـد!" بينمـا نعلَـمُ حقيقَـةَ كـونِ مَوضُـوعِ رِسـالَةِ بُـولُس الرَّسُـول إلـى أهلِ أفسُس هُوَ أنَّ السَّماءَ هي مجالٌ رُوحيٌّ نستطيعُ أن نعيشَ فيـهِ الآن، يكتُـبُ

بُولُس الرَّسُول أيضاً أنَّ السَّماءَ هي مكانٌ سنعيشُ فيهِ إلى الأبد معَ الرَّبّ (١ تسالُونيكي ٤: ١٣- ١٨).

عندما أخبَرَ يسُوعُ رُسُلَهُ الأخبارَ السَّارَّةَ أنَّهُ في بيتِ الآبِ تُوجَدُ منازِلُ كَثيرَة، يُمكِنُ تفسيرُ هذا التَّصريح كالتَّالِي: "تُوجَدُ عدَّةُ أماكن للعَيشِ في الكَون." السماءُ هي مكانٌ. وكَمُؤمِنين، سوفَ نذهَبُ إلى هُناك وسنعيشُ معَ الرَّبِّ إلى الأبد! وبما أنَّنا نُؤمِنُ بذلكَ المكان، علينا أن لا ندعَ قُلُوبَنا تضطَّرِب.

النُّقطَةُ الثَّانِيَة من عِظَةِ دَفنِ يسُوع هي: "لا تَضطَّرِبْ قُلُوبُكُم لأنَّهُ يُوجَدُ شَخصٌ." فمجيءُ الرُّوحِ القُدُس هُوَ المصدَرُ العَظيمُ للتَّعزِيَةِ التي وعدَ بها يسُوعُ تلاميذَهُ في العُلِّيَّة. الكلمة اليُونانيَّة المُتَرجَمَة "المُعَزِّي أو المُرشِد" هي بالحقيقَةِ كلمة "باراقليط،" التي تعني، "الشخصُ الذي يقتَرِبُ منَّا ويلتَصِقُ بنا بهدَفِ مُساعَدَتِنا."

سيَكُونُ لدى يسُوع المزيد ليَقُولَهُ عنِ الرُّوحِ القُدُس في الإصحاح ١٦. في هذا الإصحاح، الوعدُ بِشَخصٍ يَصِفُهُ الرَّبُّ يسُوع بأنَّهُ "المُعزِّي،" هُوَ السَّبَبُ الثَّانِي الذي لأجلِهِ لا ينبَغي أن تضطَّرِبَ قُلُوبُهم. فحتَّى ولو كانَ سيَترُكُهُم، بمعنى أنَّهُ كانَ على وشكِ المَوت، فإنَّ قُلُوبَهُم لا ينبَغي أن تضطَّرِبَ لأنَّهُ "يُوجَدُ شَخصٌ" يهتَمّ.

النُّقطَةُ الثَّالِثَة في عِظَةِ دَفنِ يسُوع هي "لا تضطَّرِبْ قُلُوبُكُم لأنَّهُ يُوجَدُ سلام." فالتِّلميذُ الذي يُؤمِنُ باللهِ وبِيَسُوع، لديهِ التَّفاؤُل الذي لا ينضُب والذي يأتي منَ الرَّجاءِ بأنَّهُ يُوجَدُ مكانٌ، وبأنَّهُ سيَذهَبُ إلى ذلكَ المكان لِيَكُونَ معَ الرَّبِّ إلى الأبد. وهُوَ يُؤمِنُ بوعدِ يسُوع القائِل بأنَّهُ يُوجَدُ شَخصُ الرُّوح القُدُس، الذي يَقِفُ لجانِبِهِ ويُعزِّيهِ ويلتَصِق بهِ ليُساعِدَهُ ويُشَجِّعَهُ. في الأعداد التي إقتَبَستُها أعلاهُ، يَقُولُ يسُوعُ أنَّ أُولئكَ الذين يُؤمِنُونَ بالمكانِ والشَّخص، يختَبِرُونَ أيضاً السَّلام الذي وعدَ يسُوعُ بأن يترُكَهُ لنا ويمنحن إيَّاهُ. (يُوحَنَّا ١٤: ٢٧- ٣١).

فعندَما يُؤمِنُ النَّاسُ بِيَسُوع ويختَبِرُونَ علاقَةً معَ الرُّوحِ القُدُس، يَحصُلُونَ على ما يُسمِّيهِ الرَّسُول بُولُس "سلام الله الذي يَفُوقُ كُلَّ عَقل." (فيلبِّي ٤: ٦- ١٠). بإمكانِنا أن نُسَمِّيَ هذا "السَّلام الذي لا يُفهَمُ بالمَنطِق" لأنَّهُ السِّلام الذي يمنَحُهُ المسيحُ والذي يَتِمُّ وصفُهُ بأنَّهُ ثَمَر الرُّوح (غلاطية

٥: ٢٢، ٢٣). إنَّهُ سلامٌ يُعطيهِ المسيحُ لتلاميذِهِ من خلالِ الرُّوحِ القُدُس، عندما تَكُونُ ظُرُوفُ حياتِهِم مُعاكِسَة، ولا يتوقَّعُ أحدٌ أن يشعُرُا بالسَّلام.

بإستِثناءِ الرَّسُول يُوحَنَّا، عندما ماتَ هؤُلاء الرُّسُل جميعاً بطُرُقٍ رَهيبَة كشُهداء، بإمكاننا أن نتأكَّدَ أنَّهُم ماتُوا معَ سلامِ المسيح الذي وعدَهُم بهِ في تلكَ العُلِّيَّة. فيَسُوعُ لم يَكُن يتكلَّمُ عنِ سلامِ العالم، عندما قدَّمَ هذا الوعد للتلاميذ. فلقد وعدَ بأن يُعطِيَنا سلاماً داخِلِيَّاً معَ نُفُوسِنا، وسلاماً معَ الآخرين، الذي إليهِ يطمَحُ العالَمُ بأسرِهِ. لقد علَّمَ يسُوعُ عن سلامٍ يُعاكِسُ سلامَ العالم. وقبلَ أن يترُكَ التَّلاميذُ هذه الخُلوة، أخبَرَهُم يسُوعُ أنَّهُ سيَكُونُ لهُم في هذا العالَمِ ضِيقٌ، ولكنَّهُ طمأنَهُم قائِلاً أنَّهُ غلبَ هذا العالم بالإيمان، وبإمكانِهِم هم أيضاً أن يغلِبُوا ضيقَ هذا العالم بالإيمان (يُوحَنَّا ١٦: ٣٣، ١يُوحَنَّا ٥: ٤).

الفصلُ الثَّانِي
"الإستِعارَةُ المجازِيَّةُ الرَّائِعة"

الكلماتُ الأخيرة التي نقرَأُها في الإصحاحِ الرَّابِع عشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا، تُخبِرُنا أنَّ يسُوعَ ورُسُلَهُ كانُوا على وَشَكِ تَركِ الغُرفَةِ العُلوِيَّة. فإنتَقَلُوا إلى حَقلٍ، حيثُ إستخدَمَ يسُوعُ إستِعارةً مجازِيَّة تُوضِحُ وتُطَبِّقُ جَوهَرَ ما علَّمَهُ لهؤُلاء الرِّجال في العُلِّيَّة. حتَّى الآن، قَلبُ هذا الحِوار الذي نُسَمِّيهِ خُطبَةً، كان عندما أخبَرَهُم يسُوعُ أن أقوالَ وأعمالَ الآبِ قِيلَت وتحقَّقت على الأرضِ من خلالِ يسُوع، لأنَّهُ هُوَ والآب واحد. فكُلُّ ما سَمِعُوا يسُوعَ يَقُولُهُ وما رأوهُ يعمَلُهُ ما هُوَ إلا فَيضٌ من الحقيقَةِ المجيدة بأنَّهُ كانَ في إنسجامٍ كامِلٍ معَ الآب.

وها هُوَ الآن يُعطِي هؤُلاء الرُّسُل واحِدةً من أعمَقِ وأبسَطِ صُوَرِهِ المجازِيَّة. أمسَكَ بكَرمَةٍ ذاتِ أغصانٍ مَليئَةٍ بعناقِيدِ العِنَب، وقالَ لهُم ما معناهُ: "كما أنَّ هذه الأغصان تُنتِجُ ثماراً بوفرة لأنَّها ثابِتَةٌ ومُنسَجِمَةٌ معَ الكرمة، هكذا أنتُم أيضاً ستَكُونُونَ مُثمِرينَ إن ثَبَتُّم فيَّ وكُنتُم في إنسجامٍ معي."

ثُمَّ وصفَ مراحِلَ حملِ الثِّمار: الذي لا يأتي بِثَمَر، الذي يأتِي بِثَمَر، والذي يأتي بِثَمَرٍ كَثير. تُوجَدُ أربَعَةُ رُمُوزٍ في هذه الإستِعارَة التي تنضَوي

على معنىً عميقٍ جدّاً: فهُناكَ كرمَةٌ، أغصانٌ، ثِمارٌ، وكَرّام. وبِحَسَبِ ما فسَّرَ يسُوعُ وطبَّقَ هذه الإستِعارَة المجازِيَّة، فإنَّهُ هُوَ الكَرمَة، والرُّسُلُ هم الأغصان، والثِّمارُ هي مُعجِزَةُ الكرازة بكلمتِهِ، وعمَلُ ملَكُوتِهِ أو كنيستِهِ الذي يُعمَلُ على الأرض من خلالِ التّلاميذ. والكرّامُ في هذه الإستِعارَة هُوَ الله.

يُوجَدُ تَصريحانِ يُرَكِّزانِ بِوُضُوحٍ في تفسيرِهِ وتطبيقِهِ لهذه الإستِعارَة الرّائِعة: بدُونِهِ لا يستَطيعُ الرُّسُلُ والتّلاميذُ أن يعمَلُوا شَيئاً، وبِدُونِهِ لا يُريدُ هُوَ أن يعمَلَ شيئاً. في هذه الإستِعارَة، الثِّمارُ لا تنمُو مُباشَرَةً على الكرمة. فقط عندما يتدفَّقُ عصيرُ الحياةِ والطّاقَةِ عبرَ جِذعِ الكرمَةِ وينتَقِلُ عبرَ الأغصان، فقط عندها نرى الثِّمار. في هذه الإستعارَة، يسُوعُ هُوَ تلكَ "الكرمة التي تبحَثُ عن أغصان."

عندما علَّمَ يسُوعُ وفسَّرَ وطبَّقَ هذه الإستِعارَة، أعطاهُم حَضّاً يُمكِنُ إعطاؤُهُ عُنواناً: "ثمانِيَةُ أسبابٍ لأن تَكُونَ مُثمِراً." فتّشْ وانظُرْ إن كانَ بإمكانِكَ أن تجِدَ هذه الأسباب الثَّمانِية بينما تقرَأُ الأعداد السِّتَّة عشَر الأُولى من الإصحاحِ الخامِسِ عشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا:

"أَنَاْ الكَرْمَةُ الحَقِيْقِيَّةُ وَأَبِيْ الكَرَّامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لا يَأْتِيْ بِثَمَرٍ يَنْزَعُهُ. وَكُلُّ مَاْ يَأْتِيْ بِثَمَرٍ يُنَقِّيْهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاْءُ لِسَبَبِ الكَلامِ الذِيْ كَلَّمْتُكُمْ بِهِ. أُثْبُتُوْا فِيَّ وَأَنَاْ فِيْكُمْ. كَمَاْ أَنَّ الغُصْنَ لا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاْتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِيْ الكَرْمَةِ كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تَثْبُتُوْا فِيَّ. أَنَاْ الكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَاْنُ. الذِيْ يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَاْ فِيْهِ هَذَاْ يَأْتِيْ بِثَمَرٍ كَثِيْرٍ. لأَنَّكُمْ بِدُوْنِيْ لا تَقْدِرُوْنَ أَنْ تَفْعَلُوْا شَيْئاً. إِنْ كَاْنَ أَحَدٌ لا يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَاْرِجاً كَالغُصْنِ فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُوْنَهُ وَيَطْرَحُوْنَهُ فِيْ النَّاْرِ فَيَحْتَرِقُ. إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلامِيْ فِيْكُمْ تَطْلُبُوْنَ مَاْ تُرِيْدُوْنَ فَيَكُوْنُ لَكُمْ. بِهَذَاْ يَتَمَجَّدُ أَبِيْ أَنْ تَأْتُوْا بِثَمَرٍ كَثِيْرٍ فَتَكُوْنُوْنَ تَلامِيْذِيْ. كَمَاْ أَحَبَّنِيْ الآبُ كَذَلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَاْ. أُثْبُتُوْا فِيْ مَحَبَّتِيْ. إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَاْيَايَ تَثْبُتُوْنَ فِيْ مَحَبَّتِيْ كَمَاْ أَنِّيْ أَنَاْ قَدْ حَفِظْتُ وَصَاْيَاْ أَبِيْ وَأَثْبُتُ فِيْ مَحَبَّتِهِ. كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَاْ لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِيْ فِيْكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ. هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِيْ أَنْ تُحِبُّوْا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَاْ أَحْبَبْتُكُمْ. لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَاْ أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّاْئِهِ. أَنْتُمْ أَحِبَّاْئِيْ إِنْ فَعَلْتُمْ مَاْ أُوْصِيْكُمْ بِهِ. لا أَعُوْدُ أُسَمِّيْكُمْ عَبِيْداً لأَنَّ العَبْدَ لا يَعْلَمُ مَاْ يَعْمَلُ سَيِّدُهُ. لَكِنِّيْ قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاْءَ

لأَنِّيْ أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِيْ. لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُوْنِيْ بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوْا وَتَأْتُوْا بِثَمَرٍ وَيَدُوْمَ ثَمَرُكُمْ. لِكَيْ يُعْطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِيْ. بِهَذَا أُوْصِيْكُمْ حَتَّى تُحِبُّوْا بَعْضُكُمْ بَعْضاً". (يُوحَنَّا ١٥: ١- ١٦)

بمعنىً ما تدرَّبَ التلاميذُ على يدي يسُوع في كُلِّيَّةِ لاهُوتٍ إستَمَرَّت ثلاث سنوات. وما أسمَيتُهُ "الخُلوة المسيحيَّة الأخيرة" يُمكِنُ تسمِيَتُهُ أيضاً "حفلَ التَّخَرُّج"، وهذا الجزء منَ الخُطاب يُمكِنُ تَسمِيَتُهُ "عِظَتَهُ لتلاميذِهِ في حفلِ تخرُّجِهِم." فرِسالَتُهُ العاطِفيَّةُ هذه في حفلِ تخرُّجِهِم ما هِيَ إلا تَحَدٍّ لهُم، الذي يقَولُ أنَّهُم ينبَغي أن يَكُونُوا مُثمِرينَ لثمانِيَةِ أسبابٍ!

السَّبَبُ الأوَّل

أوَّلاً جَوهَرُ ما يقولهُ يسوع إنّه يجب أن نكون مثمرين، لأنَّهُ ما من تلميذٍ حقيقيٍّ يتبع يسوع ويبقَى غير مثمرٍ (٢، ٦). ويقول أيضاً إن كان ثمّة غصنٌ لا يحمل أيّ ثمرٍ، فسيقطعه أباه ويرميه بعيداً ويسقط على الأرض حتّى يأتيَ الناس ويجمعوا تلك الأغصان اليابسة ويرموها في النار. أعتقد أنّه يقول هنا أمراً مرعباً. فهو يقصد أنّ "كُلَّ غصنٍ فيَّ لا يحمل ثَمَراً لا يَقبَلُهُ الآبُ، الذي هُوَ الكرَّامُ الحقيقيّ."

فبينما كانَ ينطِقُ يسُوعُ بكلماتِهِ الأخيرة لهؤلاء الرِّجالِ الذين درَّبَهُم لثلاثِ سنواتٍ، كانَ سَبَبُهُ الأوَّل لضَرُورَةِ كونِهِم مُثمِرين هي التَّصريحُ المَهُوب، الواضح والدِّيناميكيّ أنَّهُ عليهِم أن يَكُونُوا مُثمِرين لأنَّهُ: "بهذا يَعرِفُ النَّاسُ أنَّكُم تلاميذِي." (٨) إنَّ تفسيرَ وتطبيقَ هذا الأمر لنا اليوم، هُوَ أنَّهُ لا يُوجَدُ ما يُسَمَّى بتلميذٍ غير مُثمِرٍ لِيَسُوع المسيح. هذا مَثَلٌ عمَّا يُسمِّيهِ أحدُ مُفَسِّري الكتابِ المُقدَّس، "أقوالِ يسُوع الصَّعبَة." تُوجَدُ أوقاتٌ، عندما أُفَسِّرُ وأُطَبِّقُ فيها تعاليمَ يسُوع، أجِدُ نَفسي أقُولُ: "أنا لم أقُلْ هذا؛ يسُوعُ قالَ هذا!" وهذا واحِدٌ من هذه الأوقات.

لأَكثَرِ من عِشرينَ قرناً منَ الزَّمان، مُعظَمُ هذا العالم كانَ يقسِمُ التَّاريخَ البَشَريَّ إلى قِسمَين: ما قبلَ يسُوع المسيح وما بعدَ يسُوع المسيح. عندما يعيشُ إنسانٌ ما فقط لمُدَّةِ ثلاثٍ وثلاثِينَ سنَةً، ويستخدِمُ العالَمُ تاريخَ ولادَتِهِ كحدٍّ فاصِلٍ للتَّاريخ، علينا أن نستَنتِجَ أنَّ هكذا إنسان قد تركَ أثراً عميقاً جدَّاً على العالم. بِكلماتٍ أُخرى، لقد عاشَ يسُوعُ حياةً مُثمِرَةً بِحَقّ. لهذا، كُلُّ من يدَّعي كونَهُ تلميذاً ليسُوع، عليهِ أن يُبَرهِنَ مِصداقِيَّةَ إدِّعائِهِ هذا،

بـأن يكُونَ مُثمِراً. من غَيرِ المَعقُول أن يتوجَّبَ علينا أن ندَّعِيَ أن نَكُونَ تلاميذَ ليسُوع المسيح، وأن لا نَأتِيَ بِثَمَر.

السَّبَبُ الثَّانِي

في هذا العدد نفسِهِ، أعلَنَ يسُوعُ السببَ الثَّانِي الذي لأجلِهِ يتوجَّبُ على تلاميذِهِ الذين وظَّفَ في حياتِهِم الكثير، أن يَكُونُوا مُثمِرين: عليهِم أن يَكُونُوا مُثمِرينَ لأنَّهم بهذا يُمَجِّدُونَ الآب (٨).كيفَ مجَّدَ يسُوعُ الآب؟ أجابَ على هذا السُّؤال عندما صَلَّى للهِ الآب قائِلاً: "أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. العَمَلُ الذِيْ أَعْطَيْتَنِيْ لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ". (يُوحَنَّا ١٧: ٤) كيفَ كانَ هؤُلاء الرُّسُل سَيُمَجِّدُونَ الله؟ بإكمالِهِم العمل الذي أعطاهُم إيَّاهُ يسُوعُ ليَعمَلُوه. تطبيقُ هذا علينا هُوَ أنَّهُ علينا أن نَكُونَ مُثمِرين، لأنَّنا بهذا نُمَجِّدُ الله.

السَّبَبان الثَّالِث والرَّابِع

أعطانا يسُوعُ سَبَباً ثالِثاً ورابِعاً اللذين لأجلِهما ينبَغي على تلاميذِهِ وعلينا نحنُ أن نَكُونَ مثمِرين، وذلكَ عندما قالَ: "كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِيْ فِيْكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ". (١١) هل لاحظتم يوماً أنّكم تستطيعون أن تملأوا الربّ يسوع المسيح بالفرح؟ هل تعلمون أنّ رؤية ثمارٍ في حياتكم يجلب له فرحاً كبيراً؟ هذا هُوَ السَّببُ الثَّالِث الذي لأجلِهِ ينبَغي أن يكون رُسُلُهُ مثمرين، بِحَسَبِ خطابِ التَّخرُّج الذي ألقاهُ يسُوعُ هُنا.

سَبَبٌ رابِعٌ أخبَرَ يسُوعُ رُسُلَهُ بأنَّهُ عليهِم لأجلِهِ أن يَكُونُوا مُثمِرين وهُوَ: "لِيُكمَلَ فَرَحُكُم." (١١) وتماماً مثل سلام الله، الفرحُ أيضاً مَشرُوط. هل درستم يوماً الشروط الواردة في الكتاب المقدّس لبلوغ فَرَحِ الرَّبّ؟ فَرَحُ الرَّبِّ هُوَ واحِدٌ من ثِمارِ الرُّوح (غلاطية ٥: ٢٢، ٢٣). أحدُ الكُتَّابِ المُفضَّلينَ عندي يُذَكِّرُنا قائِلاً أنَّ "الألمَ والعذاب لا مَفَرَّ منهُما، أمَّا البُؤسُ واليأسُ فهُما إختِيارِيَّان،" بالنِّسبَةِ للمُؤمِنِ المملوء بالرُّوح، لأنَّ الرُّوحَ القُدُسَ يُمكِنُهُ أن يُعطِيَ فرحاً للمُؤمن، حتَّى عندما يَكُونُ في وسطِ المصائِب.

هذا الفَرَح يُمكِنُ وَصفُهُ بالفَرَح الذي يُناقِضُ المَنطِق. فالسَّلامُ والفَرحُ اللذين يَتِمُّ وَصفُهُما في هذه الأعداد يُمكِنُ تَسمِيَتُهُما: "سلامٌ رُغمَ الظُّرُوف،" أو "فرَحٌ رُغمَ الظُّرُوف." بإمكانِنا أن نختَبِرَ السَّلامَ والفَرَح اللَّذَينِ وعدَنا

بهِما يسُوعُ – رُغمَ الظُّرُوفِ المُحيطة – لأنَّ هذا السَّلام وهذا الفَرَح لا ينبُعان من داخِلِنا.

كتبَ أحدُ المُفَكِّرين، "هناك أناسٌ يعتقدون أنّ الفرح يَسقُطُ من السماء على شكل قطعٍ، ويهبط على بعض الناس (الآخرين) دُونَ البَعضِ الآخر (نحنُ). ليس هذا ما يعلّمنا إيّاه الكتاب المقدّس." بِحَسَبِ ما يُعَلِّمُ يسُوعُ هُنا، أحد أسباب الفرح هو أن نكون مثمرينَ. كتبَ بُولُس ما يلي:"لِيَمْتَحِنْ كُلُّ وَاْحِدٍ عَمَلَهُ وَحِيْنَئِذٍ يَكُوْنُ لَهُ الفَخْرُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ فَقَطْ لا مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ". (غلاطية ٦: ٤)

عندما كُنتُ قَسِّيساً في رَيعانِ الشَّباب، أرسلني راعي الكنيسة التي كُنتُ أخدِمُ فيها، والذي كانَ قد أشرَفَ على رِعايتي وتقدُّمي في الإيمانِ بالمسيح وفي الخدمة، أرسَلَني لأؤسّس كنيسةً تابعةٍ لكنيسته في مدينَةٍ أُخرى، ولم أَشَأ أن أترُكَ فريقَ العملِ الرَّاعَويّ الكبير في الكنيسةِ الكبيرة التي كان يرعاها هذا القسِّيس، ولم أَشَأْ تأسيسَ كنيسةٍ جديدة. كنتُ أعمل معه لأنّي حصلتُ حقّاً على فرحٍ عظيمٍ من خدمته المثمرة. لكنّه طلب منّي أن أكونَ أنا أيضاً مُثمِراً. وعندما أثبتَّتُ أنّ اللهَ يستطيع استخدام أمثالي، أي عندما قمتُ بعملي الخاص، قال لي إنّ لديّ سبباً للفرح في نفسي وليس في نفسٍ أخرى. ولقد طبَّقَ راعي الكنيسةِ على خدمَتي العددَ الذي إقتَبَستُهُ أعلاهُ، أي غلاطية ٦: ٤.

بعدَ ثلاثَ عشرَةَ سنَةً، عندما بارَكني الرَّبُّ يسُوعُ المسيحُ الحَيُّ المُقام بخدمَةٍ مُثمِرَة في تلكَ الكنيسة التي كُنتُ أُؤَسِّسُها، شعرتُ بالمَمنُونِيَّةِ الجَمَّة لراعي كنيستِي، لأنَّهُ كانَ يعلَمُ أنَّ هذه المُهِمَّة سوفَ تأتي بالفَرَحِ العظيم للرَّبِّ ولي أنا شَخصِيَّاً. ولا أَقصُدُ أنَّهُ سيتطَلَّبُ الآخرينَ ثلاثَ عشرَةَ سنَةً ليقُومُوا بمثلِ هذا الأمر. ما أُريدُ قولَهُ هُوَ أنَّ هذا هُوَ الفَرَحُ الذي يَصِفُهُ يسُوعُ وينصَحُ بهِ عندَما يَقُولُ: "أُخبِرُكُم بِكُلِّ هذه الأُمُور لأنَّني أُريدُكُم أن تَكُونُوا مصدَرَ فرَحٍ لي، وأُريدُكُم أن تمتَلِئُوا أنتُم أنفُسُكُم بالفَرَح."

السَّبَبُ الخامِس

أمّا السبب الخامسُ الذي من أجلِهِ قالَ يسُوعُ لرُسُلِهِ أن يَكُونُوا مُثمِرين، فهُوَ أنَّهُ إختارَهُم ليَكُونُوا مُثمِرين: "لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُوْنِيْ بَلْ أَنَا

اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ. لِكَيْ يُعْطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي". (يُوحَنَّا ١٥: ١٦)

هؤلاء الرجال اختاروا إتِّباعَ يسوع وقاموا بعهودٍ له. ولو حاول هؤلاء الصيّادون حمل سفنهم على ظهورهم، لما استطاعوا أن يتبعوه كما فعلوا. لقد اتّخذوا قراراتٍ وقدّموا عهوداً ليسوع. هل بإمكانِكُم أن تتصوَّرُوا الأفكارَ التي جالَت بخاطِرِهم عندما سَمِعُوا يسُوعَ يَقولُ ما جَوهَرُ معناهُ: "أعلم أنّكم قمتم بخياراتٍ، وتعتقدون أنّكم اخترتموني. لكنّ الحقيقة هي أنّي أنا مَن إخترتُكم وأقمتُكُم، وليس أنتم اخترتموني". (يُوحَنَّا ١٥: ١٦)

إنّ كلمة "أقامَ أو رَسَمَ" هنا ليست بمعنى رِسامة قَسِّيس في يَومِنا الحاضِر. إنّ كلمة "رَسَمَ أو أقامَ" هي ترجمةٌ لكلمةٍ يونانيّةٍ نجدها ثلاثَ مرّاتٍ في العهد الجديد. وهي تعني أن نحتلّ مكاناً استراتيجيّاً ، كَشَمعَةً على شمعدانٍ، كذلكَ التَّشبيه الذي إستَخدَمَهُ يسُوعُ في موعِظَتِهِ على الجَبَل (متَّى ٥: ١٤- ١٦). في هذا العدد، يقصُدُ يسوع: "أنا اخترتكم وأنا وضعتكم في مكانٍ استراتيجيٍّ في هذا العالم المُظلِم مثل شمعةٍ في شمعدانٍ لتكونوا مثمرين. عليكُم أن تَكُونُوا مُثمِرينَ لأنِّي إختَرتُكُم لتَكُونُوا مُثمِرين."

السَّبَبُ السَّادِس

ثُمَّ أعطاهُم السَّبَبَ السادِسَ الذي لأجلِهِ عليهِم أن يَكُونُوا مُثمِرين. قال يسوع إنّ علينا أن نكون مثمرين لأنّنا نتمتّع بأفضليّةٍ روحيّةٍ وهي أنّنا اختبرنا محبّة المسيح لأنفسنا وللعالم بأسره، ويريدنا أن نتشارك مع العالم هذه المحبّة: "كما أَحَبَّني الآبُ كذلكَ أحبَبتُكُم أنا. أثبتُوا في مَحَبَّتِي. إن حَفِظتُم وصاياي تثبُتُونَ في مَحَبَّتي كما أنِّي أنا قد حَفِظتُ وَصايا أبِي وأثبُتُ في مَحَبَّتِهِ." (يُوحَنَّا ١٥: ٩، ١٠) ولقد كانَ يسُوعُ بِذلكَ يُكَرِّرُ بِوضُوحٍ وصِيَّتَهُ الجديدة التي نراها في الإصحاحِ الثَّالِث عشَر والعَدَدَين ٣٤ و٣٥. وهُوَ يُكَرِّرُ التَّعليمَ القائِلَ بأنَّنا نُظهِرُ محبَّتَنا للرَّبِّ عندما نُطيعُ وصاياهُ.

عندما صلّى يسوع لهؤلاء الرجال ولأُولئكَ الذين سيُؤمِنُونَ بهِ من خلالِهم، كانت صلاته من أجل أن نعيش بطريقةٍ تجعل العالم أجمع يعرف ويُؤمِن أنَّهُ "هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ العَالَمَ حَتَّى بَذَلَ إِبْنَهُ الوَحِيْدَ" من أجلِ خلاصِهم. ثُمَّ صَلَّى أيضاً من أجلِ أهلِ هذا العالم، ليَعرِفُوا من محبَّةِ تلاميذِهِ أنَّ اللهَ يُحِبُّهُم بمقدارِ ما يُحِبُّ إبنَهُ (٣: ١٦؛ ١٧: ٢٢ و٢٣)

لقدِ إختَبَرَ هؤلاء الرجال محبَّةَ المسيح لمدّة ثلاث سنوات، لكنّ العالم الهالِك لم يختَبِرْ معنى محبَّة يسوع. لذلكَ قال لهؤُلاء الرِّجال الذي أحبَّهُم لِثلاثِ سنواتٍ، أن يتشاركوا مع العالم أجمع محبّة يسوع التي سُكِبَتْ عليهم. هذه الوصِيَّة بأن يُحِبُّوا كما هُوَ أحبَّهُم، هي سَبَبٌ آخر الذي لأجلِهِ يتوجَّبُ على هؤلاء الذين عرفُوا محبَّتَهُ أن يَكُونُوا مُثمِرين.

في إطارِ هذا التَّعليم، قدَّمَ يسُوعُ التَّصريحَ العَظيم بأنَّهُ ليسَ حُبٌّ أعظَمُ من أن يضعَ الإنسانُ نفسَهُ من أجلِ أحِبَّائِهِ. في رسائِلِ العهدِ الجديد، التي تُعَلِّمُ المُؤمنين، يُطَبَّقُ هذا التَّعليمُ عندما يلتَزِمُ الأزواجُ بأن يُحِبُّوا زَوجاتِهِم كما أحَبَّ المسيحُ كنيستَهُ وأسلَمَ نفسَهُ لأجلِها، أي لأجلِ خلاصِنا. وتمَّ تعليمُ النِّساءِ بأن يُكَمِّلنَ أزواجَهُم، وأن يَكُونَ تركيزَهُنَّ على الزَّوجِ الآخر، بينَما يُقدِّمنَ حياتَهُنَّ من أجلِ أزوجِهِنَّ وأطفالِهِنّ. في حضاراتِنا التي تُرَكِّزُ على الذَّات، مُعظَمُ الرِّجالِ والنِّساء مُنشَغِلُونَ بأنفُسِهم أكثرَ منَ اللازِم، ممَّا لا يسمَحُ لهُم تطبيقُ هذا التَّعليم. كم نحتاجُ أن نسمعَ هذا التَّحدِّي من يسُوع، أنَّهُ لا يُوجَدُ حُبٌّ أعظَمُ من هذا أن نضعَ حياتَنا من أجلِ الآخرين، مُبتَدِئينَ بزيجاتِنا ومنازِلِنا.

السَّبَبُ السَّابِع

أمّا السبب السَّابِعُ ليكونوا مثمرين فهو أنَّ الكَرَّامَ – أي الله الآب – مُلتَزِمٌ تماماً بأن يجعَلَهُم مُثمِرين. لِنَقرَأْ بِرَوِيَّة العدَدَ الثَّانِي، ثُمَّ لِنُلاحِظْ أنَّهُ عندما يجدُ الآبُ السَّماوِيُّ غُصناً مُثمِراً في هذه الكرمة، فإنَّهُ يُشَذِّبُهُ ليأتي بِثَمَرٍ أكثَر.

منذُ عدَّةِ سنواتٍ، ساعَدني زوجٌ وزوجَةٌ تَقِيَّينِ على فهمِ هذه الصُّورَة المجازِيَّة التي إستَخدَمَها يسُوع. فقَصَّا عليَّ بالتَّفصيل كيفَ أنَّهُما قاما بإتِّخاذِ قرارٍ بالتَّقاعُدِ المُبَكِّر من عَمَلِهِما الصَّعب، فإشتريا كروماً في شمالِي كالِيفُورنيا. وبما أنَّهُما لم يعرِفَا شَيئاً بتاتاً عن العنايَةِ بالكُرُوم، وظّفا كرّاماً خَبيراً مُتَقدِّماً بالسِّنّ ليريهما كيف يعتنيان بتلك الكروم.

أوّل أمرٍ علّمهما إيّاه الكرّام كان عبورَ كلِّ الكروم التي اشترياها وقَطْعَ كلِّ الأغصان اليابسة والمتروكة من الموسم السابق.

وبعدَ أنِ إنتَهوا جَميعاً من القِيامِ بهذا الأمر، فَرِحَ الزَّوجانِ كَثيراً عندما بدأت بعض البراعم تنبت على كرومهما. فقال الكرّام لهما: "تلك هي

الجُذَيْرَاتُ. سوف نسير ونقطعها كلَّها، لأنّكما لن تحصلا على نوعيّةٍ وكمّيّةٍ جيّدتينِ من الثمر، إلا إذا قطعتما تلك الجُذَيْرَاتِ. إنّ الجذيرات تمتصّ كلّ العناصر التي تعطي الحياة، وبالتالي، لا تنتج الكرمة الثمار التي تريدان رؤيتها".

وأخبَرَني الزَّوجانِ أنَّهُم تَشَجَّعا كَثيراً حين ظهرت عناقيد العنب الصغيرة على أغصانِ الكرُوم. ولكن، للمرّة الثالثة قال لهما الكرّام: "سوف نعبر الكروم مجدّداً ونقطع هذه العناقيد، وإلا لن تحصلا أبداً على نوعيّة الفاكهة وكمّيّتها اللتينِ تريدانها".

ولقد أخبَرني الزَّوجانِ أنَّهُما للمرّة الأولى في حياتهما فَهِما العدد الثاني من الإصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنّا، حيثُ علَّمَ يسُوعُ قائِلاً أنَّهُ عندما يجدُ الكَرَّامُ/الآبُ، غُصناً ثابِتاً في الكَرمة ومُثمِراً، يُنَقِّيهِ ويُشذِّبُهُ لأنَّ يُريدُ أن يرى المزيدَ منَ الثِّمارِ عليهِ.

فأجَبتُهُما أنَّ الإستِماعَ إلى إختِبارِهما كَكَرَّامَينِ جَديدَين، قد ساعَدَني كثيراً على تطبيقِ هذا التَّشبيهِ العَميق الذي أعطاهُ يسُوع، على الأحداثِ التي كُنتُ أختبِرُها في حياتِي وخدمَتي. أعتَقِدُ أنَّ الرَّبَّ نظَرَ إلى خدمَتي كما كانت في السَّبعينات، ورأى أنَّني كُنتُ مُثمِراً. وكُنتُ ثابِتاً فيهِ وأحمِلُ ثماراً لأجلِه. ولكنَّهُ لم يَكُن راضِياً على نَوعِيَّةِ أو كَمِّيَّةِ الثِّمار التي كانَ يجنيها من حياتِي. لهذا قالَ: "سوفَ أُشَذِّبُهُ وأجعَلُهُ أكثَرَ إثماراً."

في نهايَةِ الثَّمانِينات، كُنتُ قد أصبَحتُ مَشلُولاً تماماً، بِسَبَبِ مرضٍ عُضالٍ لا يُرجَى شِفاؤُه. فمُنذُ أوائِل الثَّمانِينات، كُنتُ قد بدأتُ أشعُرُ بالشَّلَل في جسدي. وهكذا أصبحتُ مَشلُولاً تماماً الآن، منذُ عدَّةِ سنوات. ينظُرُ النَّاسُ إلى مَرَضِي ويَرْثُونَ لِحَالِي قائِلين: "يا لِهذا العَجز." فأُجيبُ، "لا، هذا ليسَ عجزاً، بل تشذِيباً. إنَّهُ تشذيبُ الآبِ السَّماوِيِّ المُحب، الذي يُحِبُّني لدَرَجَةِ أنَّهُ لا يُريدُني أن أُتابِعَ حياتِي بِسَطحِيَّةٍ، وأنا مُنشَغِلاً بِألفِ أمرٍ وأمر، ظانّاً أنِّي بِذلكَ أُنتِجُ ثماراً، ولكنَّهُ يُريدُني أن أكُونَ مُثمِراً بطريقَةٍ مُختَلِفَة.

ومنذُ العام ١٩٨٠، إنخَرَطتُ في أكثَرِ خدمَةٍ مُثمِرَةٍ في حياتِي. ولم يَكُن مُمكِناً أن أُصبِحَ مُثمِراً إلى هذا الحَدّ، لو أنَّني كُنتُ لا أزالُ أتمتَّعُ بِجَسَدٍ سَليم. أنا أُحِبُّ الكرَّامَ الإلهِيّ، لأنَّهُ شَذَّبَني وقطعَ أغصاناً كثيرةً في حياتِي،

لكَي لا يسمَحَ بأن تَفُوتَني أعظَمُ فُرصَةٍ لأُثمِرَ بما أسماهُ يسُوع، "ثماراً تَدُوم." (يُوحَنَّا ١٥: ١٦)

السَّبَبُ السَّابِعُ الذي لأجلِهِ يَقُولُ يسُوعُ لهؤُلاء الرُّسُل أنَّهُ عليهِم أن يَكُونُوا مُثمِرينَ، هُوَ أنَّ أباهُم السَّماوِيَّ مُلتَزِمٌ بأن يجعَلَهُم مُثمِرين. وفي محبَّتِه لنا، تَمُرُّ أوقاتٌ يُشَذِّبُنا فيها الرَّبُّ ليُحَسِّنَ نوعِيَّةَ وكمِّيَّةَ الثِّمار التي تُنتِجُها حياتُنا لأجلِهِ.

السَّبَبُ الثَّامِنُ

السَّببُ الثَّامِنُ والأخيرُ ليَكُونَ الرُّسُلُ مُثمِرين، نجدُهُ في الجُملَةِ الإفتِتاحِيَّةِ من هذا التَّعليمِ العظيم. لم أُعالِجْ هذه التَّحريضات على الإثمار بحَسَبِ التَّرتيب الذي تظهَرُ فيهِ في هذا الإصحاح. فأنا أُشيرُ إلى أوَّلِ هذه التَّحريضات كالسَّبَبِ الأخير، لأنَّني أعتَقِدُ أنَّهُ السَّببُ الأهَمّ. عندما تحدَّى الرَّبُّ يسُوع الرُّسُلَ بأن يَكُونُوا مُثمِرين، لكَونِهِ هُوَ الكَرمة وهُم الأغصان، قالَ لهُم أنَّهُ عليهِم أن يَكُونُوا مُثمِرين، لأنَّ لم تكُن لدَيهِ طريقَةٌ أُخرى يُوصِلَ بها خلاصَهُ إلى هذا العالم، إلا من خلالِ رُسُلِهِ المُثمِرين.

يُوجَدُ شِعرٌ يَصفُ لِقاءَ يسُوع معَ الملائِكَة بعدَ صُعُودِهِ إلى السَّماء. فسألَهُ الملائِكَةُ عن الثَّلاث والثَّلاثينَ سنَةً التي قضاها على الأرض، خاصَّةً عن إنتِصارِهِ على الصَّليب، الذي تمَّتِ المُصادَقَةُ عليهِ بقيامَتِهِ. ثُمَّ سألَ أحدُ الملائِكَةِ يسُوعَ عن مأمُوريَّتِهِ العُظمى وعن خدمَة تبشير العالَم. فأجابَ يسُوعُ بأنَّهُ أوكَلَ هذه المُهِمَّة للرُّسُلِ الأحد عشَر، ولحوالَي خمسئة أخ. فَرَدَّ أحدُ الملائِكَةِ بالسُّؤال، "وماذا لو فَشِلُوا بتبشيرِ العالَمِ بإنجيلِكَ؟" فأجابَ يسُوع، "ليسَ لدَيَّ أيَّةُ خُطَّةٍ بَديلة."

خُلاصَة

إنَّها خُطَّةُ اللهُ بأن يضعَ قُوَّةَ اللهِ في شَعبِ الله، ليُحَقِّقَ مقاصِدَ الله، من خلالِ شَعبِ الله، بِحَسَبِ خُطَّةِ الله. هذه هي رُوحُ التَّحريضِ الأوَّل، الذي أُقدِّمُه في الأخير للتَّشديد. في هذه الإستِعارة المجازِيَّة الجميلة، يسُوعُ هُوَ الكَرمة التي تبحَثُ عن أغصان. فالثِّمارُ لا تظهَرُ على الكَرمَةِ، بل على أغصانِها. يُشيرُ هذا إلى الحقيقَةِ العميقة أنَّني لو كُنتُ مَوجُوداً عندما رَتَّبَ اللهُ لهذه الخُطَّة، لكُنتُ نصحتُهُ بأن يعمَلَ خلافَ هذا التَّرتيب، لأنَّ الطبيعَةَ البَشَريَّةَ ضَعيفَةٌ. هل تعتَقِدُ أنَّ اللهَ عرفَ عن ضَعفِ الطَّبيعَةِ البَشَريَّة عندما

إتَّخذَ هذا القَرار؟ في الكتابِ المُقدَّس، تعني كلمة "جَسَد" غالِباً، "الطَّبيعة البَشَريَّة بِدُونِ مُساعَدَةِ الله." فَلِماذا خطَّطَ اللهُ القَادِرُ على كُلِّ شَيءٍ لخُطَّةِ تَحُدُّهُ بمُشارَكَةِ الإنجيل من خلالِ كائناتٍ بَشَرِيَّةٍ ضَعيفَةٍ، قد تَقُومُ أو لا تَقُومُ بالكِرازَةِ به؟

الجوابُ القصيرُ على هذا السُّؤال هُوَ أنَّ هذه هي خُطَّةُ الله. بمعنَىً ما، عندما نطرَحُ أحياناً السُّؤال، "لماذا فعلَ اللهُ هذا أو ذاك؟" يَكُونُ الجوابُ دائماً هُوَ نفسُهُ، "اللهُ وحدَهُ يعلَم." يُعطينا يسُوعُ بعضَ الأجوبَةِ على هذا السُّؤال في هذا المقطَع. سَببانِ يستخدِمُ اللهُ لأجلِهما الأغصانَ لِيُنتِجَ الثِّمارَ التي تَدُوم، وهُما أنَّهُ عندما تتدفَّقُ حياةُ اللهِ وقُوَّتُهُ من خلالِ الأغصانِ البَشَريَّة، وعندما تَكُونُ هذه الأغصان مُثمِرَة، يتمجَّدُ اللهُ، وتختَبِرُ هذه الأغصانُ فرحاً عظيماً. ولكنَّ الجوابَ الأساسيّ على هذا السُّؤال هُوَ أنَّ المسيحَ الحَيَّ المُقام ليسَ لدَيهِ خُطَّةٌ بَديلة.

هل رأيتم كيف أنّ يسوع يستَخدِمُ هذه الإستِعارَة المجازِيَّة عنِ الكَرمَةِ و الأغصان، لِيُوضِحَ ويُطَبِّقَ جَوهرَ المفاهِيم التي علّمنا إيّاها في الغرفة العلويّة؟ "إن كنتم متّحدين معي كما أنا متّحدٌ مع الآب، تقدرون أن تعملوا أعمال اللهِ وأن تلفظوا كلامَ اللهِ. وبالحقيقَة، ستعمَلُونَ أعمالاً أعظَمَ منِّي". (يُوحَنَّا ١٤: ١٢).

هذا ما كانَ يَقُولُهُ بالحقيقة، عندما أمسَكَ بكَرمَةٍ ذاتِ أغصانٍ مُثمِرَة، وقالَ: "هل تَرَون هذه الأغصان المتّصلة بالكرمة بطريقةٍ أنّ العناصر التي تعطي الحياة تأتي من الكرمة وتعبر الأغصان وتُنْتِجُ الثمر؟ فبالطريقة عينها عليكم أن تكونوا فيّ وأنا فيكم لتكونوا مثمرين. لأنَّكُم بِدُوني لا تَقدِرُونَ أن تعمَلُوا شَيئاً، وبِدُونِكُم إختَرتُ أن لا أعمَلَ شَيئاً. ليس لديّ أيّ طريقةٍ أخرى لإنجازِ عمَلِي في هذا العالم إلا بأن أُعلِنَ كَلِمَتي وأعملَ عملي من خلالِكُم، ومن خلالِ أُولئكَ الذين أصبحُوا تلاميذِي من خلالِ ثمارِكُم".

قبلَ أن نترُكَ هذه الأعداد السِّتَّة عشر من الإصحاحِ الخامِس عشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا، ينبَغي أن أُشيرَ إلى أنَّ بعضَ مُفَسِّري العهدِ القَديم يُؤمِنُونَ أنَّ هذا هُوَ تفسيرُ يسُوع لإستِعارَةٍ مجازِيَّة نَجِدُها في كِتابَاتِ ووعظِ أنبياء مثل إشعياء (إشعياء ٥: ١- ٧). الطريقَةُ التي إستَخدَمَ بها الأنبياءُ هذه

الإستِعارَة، هي أنَّ إسرائيل هي الكرمة، وهذه الكرمة هي غير مُثمِرَة. الكرمَةُ غيرُ المُثمِرَة التي كرزَ عنها الأنبياءُ، هِيَ صُورَةٌ عن الشَّر، وعن كَونِ إسرائيل لم تَعُد بتاتاً كما أرادَ لهاَ الرَّبُّ أن تَكُون كأُمَّةِ شَعبِ الله. وهكذا يستَخدِمُ يسُوعُ في بعضِ أمثالِهِ هذه الإستِعارَة المجازِيَّة نفسَها وبالطَّريقَةِ نفسِها التي إستَخدَمَها بها الإنبياء (متَّى ٢١: ٣٣- ٤٠).

لهذا يُؤمِنُ مُفَسِّرُوا العهدِ القَديم بأنَّ يسُوعَ بدأَ إستِخدامَ إستِعارَتِهِ العظيمة في الحَقلِ، قائِلاً ما جَوهَرُهُ، "أنا الكَرمَةُ الحقيقيَّة، وليس الكرمة غير المُثمِرَة التي تكلَّمَ عنها الأنبياء." في هذه الإستِعارَة الرَّائِعة، يقتَرِحُ البَعضُ أنَّهُ يَقُولُ للرُّسُل أنَّ الخلاصَ، السَّلام، وثَمرَ الرُّوح هي الحياة الأبديَّة الفَيَّاضة التي وعدَ بأنَّها لن تُوجَدُ بمُجَرَّدِ التَّدَيُّنِ اليَهُودِي. فهذه البَركاتُ الرُّوحِيَّةُ الخارِقَةُ للطَّبيعة، تمَّ إختِبارُها فقط في إطارِ علاقَةٍ حيويَّةٍ معَ يسُوع، بينما عرَفُوهُ آنذاكَ، وخاصَّةً عندما كانُوا سيتعرَّفُونَ مُجدَّداً عليهِ كالمسيحِ الحَيِّ المُقامَ منَ المَوت.

الفَصلُ الثَّالِث
"مُهِمَّةٌ مَهُوبَة"
(يُوحَنَّا ١٥: ١٨- ٢٧)

إنَّ إستِعارَةَ الكَرمَةِ والأغصان كانت التطبيقَ العميق لجَوهَرِ تعليمِ يسُوع في العُلِّيَّة. هُنا يُشارِكُ يسُوعُ بِبَعضِ الحقائقِ الصَّعبة التي سيُواجِهُها هؤُلاء الرِّجال، خلالَ تطبيقِهِم للمأمُوريَّةِ العُظمة، التي كانَ قد كَلَّفَهُم بها في عظتِهِ في حفلِ تخريجهم. وهوَ سيتبَعُ هذه التَّوقُّعاتِ الواقِعيَّة الصَّعبة عن مُواجَهتهم المُقاومة والإضطِّهاد، التي كانُوا سيُواجِهُونَها بمعلُوماتٍ أكثَر تحديداً عن عملِ الرُّوحِ القُدُس فيهم ومن خلالِهم عندما يقبَلُونَ المُعَزِّي:

"إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلَكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ. اذْكُرُوا الْكَلاَمَ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ. وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلاَمِي فَسَيَحْفَظُونَ كَلاَمَكُمْ. لَكِنَّهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ بِكُمْ هَذَا كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ اسْمِي

لأَنَّهُمْ لا يَعْرِفُوْنَ الذِيْ أَرْسَلَنِيْ. لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ جِئْتُ وَكَلَّمْتُهُمْ لَمْ تَكُنْ خَطِيَّةٌ. وَأَمَّاْ الآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ فِيْ خَطِيَّتِهِمْ. الذِيْ يُبْغِضُنِيْ يُبْغِضُ أَبِيْ أَيْضَاً. لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ عَمِلْتُ بَيْنَهُمْ أَعْمَالاً لَمْ يَعْمَلْهَاْ أَحَدٌ غَيْرِيْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيَّةٌ. وَأَمَّاْ الآنَ فَقَدْ رَأَوْا وَأَبْغَضُوْنِيْ أَنَاْ وَأَبِيْ. لَكِنْ لِكَيْ تَتِمَّ الكَلِمَةُ المَكْتُوْبَةُ فِيْ نَامُوْسِهِمْ إِنَّهُمْ أَبْغَضُوْنِيْ بِلا سَبَبٍ. وَمَتَىْ جَاْءَ المُعَزِّيْ الذِيْ سَأُرْسِلُهُ أَنَاْ إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوْحُ الحَقِّ الذِيْ مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِيْ. وَتَشْهَدُوْنَ أَنْتُمْ أَيْضاً لأَنَّكُمْ مَعِيْ مِنَ الإِبْتِدَاْءِ". (يُوحَنَّا ١٥: ١٨- ٢٧)

تُسَجِّلُ هذه الأعداد الطريقة التي حضَّرَ بها يسُوعُ الرسل لأمرٍ سيأتي قريباً وهو الإضطهاد والعذاب. خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الكنيسة، كان من غير الشرعي أن يكون الإنسان تلميذاً ليسوع المسيح. وحدثت موجاتٌ رهيبةٌ من الإضطهاد ضدّ أتباع المسيح. لهذا السبب لم تُبنَ كنائس في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الكنيسة، حتَّى قُبُول الأمبراطُور قسطنطين للإيمانِ المسيحي، الأمرُ الذي جعلَ إتِّباع يسُوع أمراً شَرعيَّاً مقبُولاً (عام ٣١٢ م.) وحتَّى قسطَنطِين، كانت الكنيسة تجتمع في المنازل غالِباً بشكلٍ سرّيٍّ، أو في مقابرَ تحت الأرض ضمن مجموعاتٍ صغيرةٍ، تحتَ عاصِمة الأمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة.

منذُ تلكَ الأيَّامِ المُبَكِّرَة من تاريخِ الكنيسة، كانَ يُعتَبَرُ عقدُ الإجتماعاتِ كتلاميذ يسُوع أمراً غيرَ شَرعِيٍّ، وكان يُشَارُ إلى هذه الإجتماعات بالكَنيسَةِ السِّريَّة تحتَ الأرض." وإذا كانَ الكَثيرُونَ على غَيرِ عِلمٍ بهذا الواقِع، فهُناكَ الملايين منَ المُؤمنينَ اليوم الذي يجتَمِعُونَ في كنائِسَ سِرِّيَّة "تحتَ الأرض"، لأنَّ الكثيرَ منَ الحضاراتِ المُعاصِرَة تضطَّهِدُ المُؤمنينَ بالمسيح وتعتَبِرُ إتِّباعَ يسُوع علَناً هُوَ أمرٌ غَيرُ شَرعِيّ.

الكلمة اليُونانِيَّة للإشارَةِ إلى "منزِل" هي، "إيكُوس". لهذا يُشيرُ المُفَسِّرُونَ إلى الكنيسة السّرِّيَّة التي تجتَمِعُ تحتَ الأرض في جماعاتٍ صَغيرَة، إلى كَونِها "كنائس المنزِل." تعليماتُ العهدِ الجديد المُوحَى بها عنِ النِّظامِ، الهيكَلِيَّة، وعملِ الكنيسة، جميعُها مَبنِيَّةٌ على حقيقَةِ أنَّ الكنيسة كانت تجتمِعُ في إطارِ هذه المَجمُوعَة الصَّغيرة (١كُورنثُوس ١٤: ٢٦ – ٤٠). وبما أنَّهُ يجرِي اليوم إضطِّهادٌ مُخيفٌ للمُؤمنين في كافَّةِ أرجاءِ

العالم، فإنَّ الكنيسةَ تتَّجِهُ مُجَدَّداً إلى مفهُوم "كنيسة المنزِل"، خاصَّةً عندما كانت تُقرَأُ الإصحاحاتُ الأخيرة من سفرِ أعمال الرُّسُل.

عندما قالَ يسُوعُ لتلاميذِهِ مُحَذِّراً، "إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ." (يُوحَنَّا ١٥: ١٨)، إستَخدَمَ كلمة "عالم" بمعنى فلسَفة العالم، أو طريقَة تفكير العالم، أو نظام قِيَم العالم الخالِي من المُطلَقاتِ والمُسَلَّماتِ الأخلاقِيَّة. لهذا علَّمَ يسُوعُ أنَّ تلاميذَهُ سيَكُونُونَ كمدِينَةٍ على جَبَلٍ لا يُمكِنُ إخفاؤُها (متَّى ٥: ١٤). بِحَسَبِ يسُوع، العالَمُ سيُبغِضُهُم لأنَّ كُلَّ ما هُم عليهِ، وما يُؤمِنُونَ بهِ، ونظام القِيم الذي يتمسَّكُونَ بهِ، هي جيمعُها في نزاعٍ مُباشَر معَ ما يُؤمِنُ بهِ أهلُ هذا العالم وما يُعطُونَهُ قيمَةً. التَّطبيقُ الشَّخصِيُّ لكَ ولي كتلاميذ للمسيح اليوم هُوَ في غايَةِ الوُضُوح.

في العدد ١٩ يُقدِّمُ لنا يسُوعُ وصفاً دَقيقاً للمُؤمِنِ كَفَرد وللكنيسَةِ كجماعة، عندما يَقُولُ، "إختَرتُكُم لتخرُجُوا منَ العالم." إنَّ عبارَة "منَ العالَم" هي تعريفٌ حَرفِيٌّ للكَنيسة. وباللُّغَةِ التي كتبَ بها يُوحَنَّا هذا الإنجيل، أي اليُونانِيَّة، كلمة كنيسة هي "إكليسيَّا"، التي تعني "مدعُوُّونَ إلى خارِج." فأُولئكَ المدعُوُّونَ منَّا إلى خارِج يُشَكِّلُونَ الكنيسة. ولكن مدعُوُّونَ من ماذا؟ مدعُوُّونَ منَ الفَلسَفَةِ العِلمانِيَّة، ومن طريقَةِ التَّفكير، ومن نظامِ قِيَمِ النَّاسِ في هذا العالم.

وكأتباعٍ للمَسيح، علينا أن نُدرِكَ أنَّنا مَدعُوُّونَ من هذا العالم لكي نُصبِحَ أهلَ "عالَمٍ آخر." لأنَّهُ يدعُونا للخُرُوجِ من هذا العالم عندما نأتي إليهِ بالإيمان ونلتَزِمُ بإتِّباعِهِ. ولا ينبَغي أن نتعجَّبَ عندَما نكتَشِفُ أنَّ العالَمَ لا يتمسَّكُ بِقِيَمِ المسيح. والعالَمُ لن يدَعَنا ننسى أبداً أنَّنا نسيرُ على إيقاعٍ آخر، وأنَّهُ علينا أن لا نتعجَّبَ عندما نجدُ أنَّ أهلَ هذا العالم لا يتمسَّكُونَ بالقِيَمِ والآداب والأهداف والمقاصِد التي نتمسَّكُ بها نحنُ. فإن كُنَّا بالحقيقةِ نسمَعُ كلماتِ يسُوع هذه، فسَوفَ نتحضَّرُ لهذا الإختبار.

قالَ يسُوعُ أيضاً، "أُذكُرُوا ما كلَّمتُكُم بهِ أنَّ العَبدَ ليسَ أفضَلَ من سَيِّدِهِ." (٢٠) عندما تكلَّمَ بهذه الكلمات، كانَ يُكَرِّرُ تصريحاً أعطاهُ في بِدايَةِ هذه الخُلوة معَ التلاميذ. (يُوحَنَّا ١٣: ١٦). ثُمَّ يُتابِعُ، "إن كانُوا قدِ إضطَّهَدُونَني فسيَضطَّهِدُونَكُم." ولكن لاحِظُوا هذا التَّشديد الإيجابِيّ: إن كانُوا قد أطاعُوا تعليمي، فسيُطِيعُونَ تعليمَكُم أيضاً." (٢٠)

بكلماتٍ أُخرى، "أنتم تتعاملون مع العالم عينه الذي تعاملتُ أنا معهُ. وأنتُم تتوقَّعُونَ منَ أهلِ هذا العالم نفسَ التَّجاوُبَ الإيجابِيّ و السَّلبِي الذي حصَلتُ عليهِ أنا في تجاوُبِهِم معِي. ومعظم الشعب الذي تعاملتُ معه اضطهدني في ردّه عليّ. لكنّ البعض آمن. لذا، توقّعوا أن يضطهدكم معظم الشعب. ولكن توقَّعُوا أيضاً أن يُؤمِنَ الكَثيرُونَ ويتبَعُوني ويعيشُوا مبادِئِي في حياتِهِم، نتيجَةً لكرازَتِكُم ولتَعلِيمِكُم."

تطبيقٌ شَخصِيّ

إنَّ كلمة "شاهِد" تعني حرفِيَّاً باليُونانِيَّة "شَهيد." لِهذا، عندما نعيشُ أنا وأنتَ إيمانَنا بالمسيح في العالم، وعندما نكرِزُ بالمسيحِ الحَيِّ فينا في هذا العالم الذي نعمَلُ فيهِ، علينا أن لا نتعجَّبَ عندما يتجاوَبُ النَّاسُ معَ شهادَتِنا مُعتَدِّينَ بِأنفُسِهِم فِكرِيَّاً، مُقاوِمينَ تعليمَ وقِيَمَ المسيح. ولكن علينا أن نتذكَّرَ أيضاً وعدَ المسيح الإيجابِي المليء بالرَّجاء، الذي أعطاهُ يسُوعُ لهؤُلاء الرِّجال عندما قالَ: "أنتُم أنفُسُكُم نماذِجَ عنِ الحَقيقَةِ المَجيدَة أنَّ البَعضَ أيضاً أطاعُوا تعليمي الذي قَبِلتُهُ من أبِي. بالطريقةِ نفسِها، سوفَ تحصلونَ على تجاوُبٍ إيجابِيٍّ معَ خِدمَتِكُم. فأنتُم أيضاً سَتَصنَعُونَ تلاميذ سيُطيعُونَ بِدَورِهِم التَّعليمَ الذي قَبِلتُمُوه منِّي."

عندما إضطُّهِدَ William Tyndale بسببِ ترجَمَتِهِ للكتابِ المُقدَّس إلى الإنكليزيَّة ليسمحَ لعامَّةِ الشَّعبِ بِقِراءَةِ الكتابِ المُقدَّس، أجابَ على إضطِّهادِهِ بالقَول، "هذا ما توقَّعتُهُ تماماً." فعندما يَقومُ النَّاسُ الذين نكرِزُ لهُم بالمسيح بالإستِهزاءِ والسُّخريَةِ منَّا وباضطِّهادِنا بسببِ القِيَم التي نُحاوِلُ أن نعيشَها ونكرِزَ بها، علينا أن نتبَعَ مِثالَ وليَم تِندايل، فلا نتعجَّب بل نتوقَّع عدم التَّجاوُب وعدم التَّعاطُف معَ رِسالَتِنا.

علينا أن نَكُونَ واقِعِيِّينَ بِشَكلٍ كافٍ لنَتَذَكَّرَ تحذِيرَ يسُوع بأنَّ العالَمَ تجاوَبَ دائماً معَ الأنبياءِ والشُّهُود بهذه الطريقة. فلقد حذَّرَ يسُوعُ هؤلاء الرِّجال في بدايَةِ علاقَتِهِم معَهُم، عندما قال لهم: "وَيلٌ لكُم إذا قالَ فيكُم جَميعُ النَّاسِ حَسَناً. لأنَّهُ هكذا كانَ آباؤُهُم يفعَلُونَ بالأنبياءِ الكَذَبَة". (لُوقا ٦: ٢٦) لهذا، علينا أن نتوَقَّعَ تجاوُباً لا مُبالٍ أو حتَّى عدَائِيّ، وأن نكُونَ أكثر من قلقينَ عندما يمدَحُنا أهلُ العالَم ويُكرِمُونَنا بأوسِمَةِ إستِحقاق. فعلينا أن نتوقّع ردّاً مضادّاً للمسيح الذي نقدّمه للعالم.

لكن ثمّة رَجاءٌ أيضاً وهو أنَّهُ من بين الخطاة المُضطَّهِدِينَ والعدائيّين حيال ما نقول لهم في ما يتعلّق بالمسيح وبالإنجيل، ثمّة أملٌ كبيرٌ في أن يُؤمِنَ بعضُ النَّاسِ ويتجاوَبُوا معَ وعظِنا وتعليمِنا. لم يَكُن هذا إختبارَ رَبِّنا يسُوع فقط، بل وكانَ أيضاً إختِبارَ الرُّسُل، كما سنرى في قراءَتِنا لِسفرِ الأعمال.

عندما وَصلَ بُولُس إلى مدينَةِ كُورنثُوس الفاسِدة والخاطِئَة، حيثُ لم يُكرَز بالمسيح بتاتاً من قَبل، وقبلَ أن يبدَأَ خدمَتَهُ العجائِبيَّة بتأسيسِ كنيسة كُورنثوس، ظَهَرَ لهُ الرَّبُّ وقال لهُ ما جَوهَرُ معناهُ: "لا تَخَفْ، يا بولس. لديّ أُناسٌ كثيرون في هذه المدينة. عليك أن تُعْلِنَ فقط الإنجيل وستكتشف مَن هم". (أعمال ١٨: ٩، ١٠)

هذا أمرٌ مُثير! فعِندَما نُعلِنُ الإنجيل، لن نَعرِفَ تماماً من هُمُ الذين سيتجاوَبُونَ معَ كِرازَتِنا، ولكن لدَينا هذا الرَّجاءُ المَبنِيُّ على وعدِ يسُوع بأنَّهُ سيَكُونُ هُناكَ أشخاصٌ سيتجاوَبُونَ معَ البِشارَة. فإن كانت لدَينا الشَّجاعَةُ والإيمان لنُشارِكَ معَ الآخرين بالكِرازَةِ بالإنجيل، فسوفَ نكتَشفُ من هُم هؤُلاء الآخرين.

بما أنَّ بولس توقَّعَ أن يَزُورَ المُؤمنينَ في رُوما ليُعلِنَ الإنجيلَ هُناك، كتبَ يَقُولُ لهُم: "أَعلم أنّه عندما آتي إليكم، سآتي بكامل بَرَكَةِ إنجيل المسيح". (رُومية ١٥: ٢٩) عندما نَكُونُ مَدعُوِّينَ لنُسافِرَ إلى مكانٍ ما بهدَفِ الكرازَةِ بإنجيلِ يسُوع المسيح، أو أذا طَلِبَ منَّا تقديم الإنجيل لأحدِ الأفراد، أهَمُّ شَيءٍ يُمكِنُنا أن نعِدَ بهِ أُولئكَ الذين دَعونا، هُوَ أنَّنا سنأتي بملءِ بَرَكَةِ المسيح. علينا أن نقتَرِبَ من هذا الإمتِياز عالِمينَ أنَّهُ، رُغمَ أنَّ الأكثَريَّة قد تتجاوَبُ بعداوَةٍ وسَلبِيَّة، أو حتَّى قد تضطَّهِدُنا، سيَكُونُ أُولئكَ "المَدعُوُّون" الذين سيُؤمِنُونَ وسيُطيعُونَ وعظَنا وتعليمَنا، تماماً كما أطاعُوا وعظَ وتعليمَ يسُوع والرُّسُل.

وتابع يسوع قائلاً: "لَكِنَّهُمْ إِمَّاْ يَفْعَلُوْنَ بِكُمْ هَذَاْ كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ اسْمِيْ لأَنَّهُمْ لا يَعْرِفُوْنَ الذِيْ أَرْسَلَنِيْ". (يُوحَنَّا ١٥: ٢١) لاحظوا كيف أنّه يستمرّ بالقول إنّه والآب والروح القدس مرفوضون. فهو قصد ما يلي: "الذي يَقبَل الذي أُرْسِلُهُ يقبلني. والذي يَقبَلُني يقبَلُ الذي أرسَلَني." (يُوحَنَّا ١٣: ٢٠؛ أنظُرُ أيضاً ١٤: ٩- ١١) فهُوَ والآبُ واحِد، ولا يُمكِنُ أن تقبَلَهُم مُنفَصِلين.

وهُوَ يُكَرِّرُ هذا للتَّشديد، ويشرَحُ قائِلاً أنَّ رفضَهُ هُوَ مُجَرَّدُ إعلانٍ عنِ المُشكِلَة الأعمق أنَّ العالَمَ لا يَعرِفُهُ، أو أنَّهُم رفضَوا الذي أرسَلَهُ.

ثُمَّ في العدد الثاني والعشرين وما يتبَع من الإصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنّا، يمنحنا يسوع تصريحاتٍ عميقَة تشبه التصريح الوارد في نهاية الإصحاح التاسع. تذكّروا أنّ في الإصحاح التاسع، وبعد أن شفى يسوع الرجل الأعمى قصد: "أنا نوعٌ مميّزٌ من النور. أمنح البصر للعميان. لكنّي أيضاً أُزِيْلُ عَمَى الذين يعتقدون أنّهم يَرَوْنَ".

رجال الدين فَهِمُوا ما كان يَقْصُدُهُ، لذلك أجابوا: "أتقول إنّنا عميانٌ روحيّاً؟" فأجابهم: "لو كنتم عمياناً، لما كانت لديكم أيُّ خطيئةٍ. لكنّكم الآن تقولون إنّكم تَرَوْنَ. لذا، خطيئتُكم باقيةٌ". (يُوحَنَّا ٩: ٤٠، ٤١) إنَّ هذا لَتعريفٌ عميقٌ للخطيئة: فبِدُونِ عَمَى، لا خَطيَّة، أي بِدُونِ نُورٍ رُوحِيٍّ لا خَطِيَّة. في العدد الثاني والعشرين من هذا الإصحاح، يقول يسوع الأمر عينه الذي ورد في الإصحاح التاسع من إنجيل يوحنّا: "أنا هُوَ نُورُ العالم." هذا يعني أنَّ تعريفَ الخَطيَّةِ بِحَدِّ ذاتِهِ هُوَ رَفضُ الذي يَقُولُ عن نفسِهِ أنَّهُ هُوَ نُور العالم. لِهذا، تعريفُ الخَطيَّةِ وأكثَرُ الخطايا جدِّيَّةً هُوَ رَفضُ يسُوع المسيح.

يُثيرُ هذا سُؤالاً: هل يُوجَدُ أيُّ كائِنٍ بَشَريٍّ على الأرض، الذي ليسَ لَدَيهِ أيُّ نُورٍ رُوحِيٍّ على الإطلاق؟ يكتُبُ بُولُس الرَّسُول قائِلاً أنَّ كُلَّ إنسانٍ لديهِ شَيءٌ منَ النُّور (رُومية ١: ٢٠). هذا ما يُسمِّيهِ اللاهُوتِيُّون "الإعلان الطَّبيعي." جَوهَرُ تعليم يسُوع هذا، وتعليمِ بُولُس المُماثِل لهُ، هُوَ أنَّنا إذا عِشنا على مُستَوى النُّور الذي لَدَينا، سنُعطَى المَزيدَ منَ النُّور: "منَ المُهِمِّ أن نمضِيَ قدماً على ضَوءِ هذه الحقيقَة، كما تعلَّمنا سابِقاً." (فيلبِّي ٣: ١٥- ١٨) فأن لا نمضِيَ قدماً على ضَوءِ ما قَبِلناهُ هُوَ نَوعاً ما تعريفٌ للخطيَّة.

منذُ عدَّةِ سنواتٍ، بينما كُنتُ أُقدِّمُ تعليماً تبشيريَّاً في إجتِماعِ دَرسِ الكتابِ المُقدَّس في أحدِ المنازِل، كانت تُوجَدُ وسطَ هذا الجمعِ الكَبير منَ النَّاسِ المُجتَمِعينَ هُناك إمرأَةٌ يابانِيَّة، كانت تتجاوَبُ بحَماسٍ معَ تعليمي للإصحاحِ الأوَّل منَ الكتابِ المُقدَّس. وكانَ وجهُها يَشِعُّ نُوراً. فإنتَظَرت إلى أن غادَرَ الآخرون، وطلَبت أن تتحدَّثَ إليَّ.

لن أنسَ أبداً تلكَ المُحادَثَة. قالَت، "في الأيَّامِ الأخيرَةِ منَ الحَربِ العالَمِيَّةِ الثَّانِيَة، عندما كانت طائِرات B – 29 تَقصِفُ طُوكيو، صَلَّيتُ في الملجَأِ لإلهٍ آخر. عرفتُ أنَّهُ يُوجَدُ إلهٌ آخر، الذي كانَ الإله الحقيقيّ، فصَلَّيتُ لهُ. ولعُقُودٍ منَ السنين منذُ ذلكَ الحين تكوَّنَ لَدَيَّ شُعورٌ قَوِيٌّ بأنَّني يوماً ما سوفَ أعرِفُ كُلَّ شيءٍ عن هذا الإله. وبينما كُنتَ أنتَ أيُّها القَسِّيس تُعَلِّمُ الكتابَ المُقدَّس الليلة، عرفتُ في قَلبِي أنَّ هذا هُوَ الإله الحقيقيّ الذي صَلَّيتُ لهُ في ملجَأِ القنابِل في طُوكيو."

إنَّ جوهَرَ الخَطِيَّة هُو رَفض النُّور. هذا يعني أنَّنا مَسؤُولونَ وسوفَ نُحاسَبُ على أساسِ النُّور الذي أخذناهُ. إنَّهُ لأَمرٌ في غايَةِ الجَدِّيَّةِ أن نتعرَّضَ لنُورٍ رُوحِيّ، لأن المنافِعَ الرُّوحِيَّة تَزيدُ من مَسؤولِيَّتِنا الرُّوحيَّة. عندما نَكُونُ قد سَمِعنا كلمةَ اللهِ ورأينا عجائِبَ الله، عندها سيترتَّبُ علينا أن نُقَدِّمَ عن أنفُسِنا حِساباً على ما سَمعناهُ ورأيناهُ. فالذي نعمَلُهُ حيالَ ما نعلَمُهُ هُوَ قياسُ المُحاسَبة الذي نَجِدُهُ في الكتابِ المُقدَّس – خاصَّةً هُنا في تعليمِ يسُوع هذا، وفي ختامِ الإصحاحِ التَّاسِع من هذا الإنجيل.

المُعَزِّي آتٍ

وفي الأعداد الأخيرة من الإصحاح الخامس عشر، قالَ يسوع: "وَمَتَىْ جَاْءَ المُعَزِّيْ الذِيْ سَأُرْسِلُهُ أَنَاْ إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِيْ". (٢٦) إحدى أهمّ خدمات الروح القدس هي أن يشهَدَ، أو أن يُشِيرَ إلى يسُوع. لا يَجْذِبُ الروح القدس الأنظار والإنتباه لنفسه، وإنّما يَرْفَعُ يسوع ويشهد له. ثُمَّ أضافَ يسُوع: "وَتَشْهَدُوْنَ أَنْتُمْ أَيْضاً لأَنَّكُمْ مَعِيْ مِنَ الإِبْتِدَاْءِ". (٢٧)

تذكّروا مجدّداً ما هو الشاهد وماذا يفعَل. إنّ الشاهد هو إنسانٌ قد رأى أمراً ما واختبره. قال يسوع: "كنتم مَعِيْ مِنَ الإِبْتِدَاْءِ. سيأتي الروح القدس وسيشهد لي، لكن عليكم أن تشهدوا أنتم أيضاً". (٢٦)

أن نكون شهوداً هي مسألةٌ تتعلّق بما نحن عليه بنعمةِ اللهِ، وينبغي علينا أن نكون شهوداً كشمعَةٍ على منارَةٍ، حيثُ وضعَنا يسُوعُ ستراتيجيَّاً لهذا الهدَف. ولكنَّنا لم نُوصَ فقط بأن نَكُونَ شُهُوداً. بل أُوصِينا بأن نَكُونَ شُهُوداً، وهذا يعني أن نفتح فمنا ونشهد لِما رأيناهُ، سَمِعناهُ، وإختَبرناهُ. الشَّاهِدُ هُوَ جَوهَرُ ماهِيَّة وحياة المُؤمن، ولكنَّ الشَّاهِدَ ينبَغي أن يشهَدَ كلامِيَّاً أيضاً. بحَسَبِ قَولِ يسُوع، الرُّوح القُدُس سيشهَد، ونحنُ علينا أن نشهَد.

الفصلُ الرَّابِع
"شَخصِيَّةُ المُعَزِّي"
(يُوحَنَّا ١٦: ١- ١٥)

بينما تقرَأُونَ الأعدادَ الأخيرَةَ من الإصحاحِ الخامس عشَر، عليكُم أن تُدرِكُوا مُجَدَّداً أنَّـهُ لا يُوجَدُ فاصِلٌ في مُحتَوى ما يُعَلِّمُهُ يسُوعُ في بدايَةِ الإصحاحِ التَّالِي: "قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِكَيْ لا تَعْثُرُوا. سيُخرِجُونَكُم منَ المجامِعِ بل تأتي ساعَةٌ فيها يَظُنُّ كُلُّ من يقتُلُكُم أنَّـهُ يُقَدِّمُ خِدمَـةً لله. وسَيَفعَلُونَ هذا بِكُم لأنَّهُم لم يَعرِفُوا الآبَ وَلا عَرَفُونِي. لَكِنِّـيْ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا حَتَّـىْ إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ تَذْكُرُوْنَ أَنِّـيْ أَنَا قُلْتُهُ لَكُمْ. وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنَ البِدَايَـةِ لأَنِّـيْ كُنْـتُ مَعَكُمْ." (يُوحَنَّا ١٦: ١- ٤)

بينما تقرَأُونَ الإصحاح السَّادِس عشَر، تأكَّدُوا من أن تُلاحِظُوا بأنَّ الرَّبَّ يُكَرِّرُ بإستِمرار، بهدَفِ التَّشديد، لماذا أخبَرَهُم بالحقيقَةِ التي شارَكَهُم بها في هذه المرحَلَة منَ الوقتِ الذي قضَوهُ معاً: "قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِكَـيْ لا تَعْثُرُوا.. لَكِنِّـيْ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا حَتَّىْ إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ تَذْكُرُوْنَ أَنِّـيْ أَنَـا قُلْتُـهُ لَكُمْ.. وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنَ البِدَايَةِ لأَنِّـيْ كُنْتُ مَعَكُمْ.. لَكِنْ لأَنِّـيْ قُلْتُ لَكُمْ هَذَا مَلأَ الحُزْنُ قُلُوْبَكُمْ... إِنَّ لِـيْ أُمُوْراً كَثِيْرَةً أَيْضاً لأَقُوْلَهَا لَكُمْ وَلَكِنْ لا تَسْتَطِيْعُوْنَ أَنْ تَحْتَمِلُوْا الآنَ". (يُوحَنَّا ١٦: ١- ١٢)

يتَّضِحُ منَ الأعدادِ الإفتِتاحِيَّةِ في هذا الإصحاح أنَّ الرَّبَّ أخبَرَهُم بهذه الأمُور، لأنَّهُم كانُوا سيُخرَجُونَ منَ المَجمَع، مثل الأعمى الذي شفاهُ يسُوعُ والذي قرأنا عنـهُ في الإصحاحِ التَّاسِع. فهُوَ يُحَذِّرُهُم بأنَّ الوقتَ سيأتي عندما سيَظُنُّ كُلُّ من يقتُلُهُم أنَّهُ يُقَدِّمُ خِدمَةً لله.

"وسَيَفعَلُونَ هذا بِكُم لأنَّهُم لم يَعرِفُوا الآبَ وَلا عَرَفُونِي. لَكِنِّـيْ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا حَتَّىْ إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ تَذْكُرُوْنَ أَنِّـيْ أَنَا قُلْتُهُ لَكُمْ." (٤)

هل اضطُهِدْتُم يوماً بسبب كَونِكُم تَخُصُّونَ يسوعَ المسيح؟ أَعْلَمُ أنّ ثمّة مؤمنينَ في أماكنَ معيّنةٍ من العالم حيث يوجد اضطهادٌ، يصلّون من أجل الأماكن التي لا يوجد فيها اضطهادٌ للكَنائِس، مثل أميركا، حيثُ تتمتَّعُ الكنائِسُ بِعَطفِ الحُكُومَةِ، وحيثُ لا تُعاني منَ ألمِ الإضطِّهاد مثل بعضِ الدُّولِ الأُخرى. فالإضطهاد الذي اخْتَبَرَهُ هؤلاءِ الناس جَعَلَهُمْ يقتربون من

اللهِ ويَنْضُـجُونَ ويُصَـلُّوْنَ مـن أجـل المـؤمنين الموجـودين فـي الأمـاكن المزدهـرة فـي العـالم، لدرَجَـةٍ جعلـتْهُم يتسـاءلون كيـف يمكـن أن يكُـونَ المُؤمنُونَ الذي لا يُعانُونَ منَ الإضطِّهاد، أن ينضُجُوا وينمُوا رُوحِيَّاً.

أشارَ أحدُ مشاهِيرِ مُؤَرِّخي الكنيسة إلى أنَّهُ إذا نَجَحت كَنيسَةٌ لم تُعاني منَ الإضطِّهاد، إذا نجحت في نشرِ إنجيلِ يسُوع المسيح وفي تأسيسِ كنيسةٍ فـي هـذا العـالم، فسَـيُكُونُ هـذا أوَّلَ مـرَّةٍ يحـدُثُ فيـهِ هـذا الأمـرُ فـي تـاريخِ الكنيسة.

يبدو أنّ الإضطهاد الذي حصل في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الكنيسة كان اللهُ قد سَمَحَ بحصوله، لأنّ الكنيسة لم تكن يوماً قويّةً وصحيحةً ونشيطةً مثلما كانت آنذاك. أشكر الربّ على السلام الذي نختبره ونتمتّع به في المكانِ الذي أخدُمُ فيهِ، ولكن إذا أتـى العذاب مجدّداً، تـذكّروا الكلمـات التي قالها بُطرُس، إذ أشارَ إلى أنَّهُ علينا أن لا نَستَغرِبَ عندما يسمَحُ الرَّبُّ بحدُوثِ أنَواعٍ من الإضطِّهادِ والألم. (١بُطرُس ٤: ١٢).

تَـذَكَّرُوا أيضـاً هـذه الكلمـات التـي قالَـها يسُـوعُ فـي العُلِّيَّـة، عنـدماكانَ يُحَضِّرُ التلاميذَ الأحد عشَر المُتحَلِّقِينَ معَهُ حَولَ المائِدَة، للإضطِّهادِ الذي كانَ سيبدَأُ بعدَ ساعاتٍ فقط من تاريخِ نُطقِهِ بهذه الكلمات.

خِدْمَةُ الرُّوْحِ القُدُسِ الثُّلاثِيَّةُ الأَوْجُه

مع وصولنا الى هذه الأعدادِ منَ الإصحاح السادس عشر وإنهاء هذا الإنسحاب الأخير الذي قام به يسوع، والذي نسمّيه عظة العُلِّيَّة، نقرأ ما قاله يسوع لهؤُلاءِ الرِّجال: "وَأَمَّاْ الآنَ فَأَنَاْ مَاْضٍ الى الذِيْ أَرْسَلَنِيْ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِيْ الى أَيْنَ تَمْضِـيْ. لَكْنْ لأَنِّـيْ قُلْتُ لَكُمْ هَذَاْ قَدْ مَـلأَ الحُزْنُ قُلُوْبَكُمْ. لَكِنِّيْ أَقُوْلُ لَكُمُ الحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ. لأَنَّـهُ إِنْ لَـمْ أَنْطَلِقْ لا يَأْتِيْكُمُ المُعَزِّيْ. وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَـىْ جَـاْءَ ذَاْكَ يُبَكِّتُ العَـاْلَمَ عَلَىْ خَطِيَّةٍ وَعَلَىْ بِرٍّ وَعَلَىْ دَيْنُوْنَةٍ. أَمَّاْ فَعَلَىْ خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُوْنَ بِـيْ. وَأَمَّاْ عَلَىْ بِرٍّ فَلأَنِّـيْ ذَاْهِبٌ الـى أَبِـيْ وَلا تَرَوْنَنِـيْ أَيْضـاً. وَأَمَّـاْ عَلَـىْ دَيْنُوْنَـةٍ فَلأَنَّ رَئِيْسَ هَذَاْ العَاْلَمِ قَدْ دِيْنَ.

"إِنَّ لِيْ أُمُوْراً كَثِيْرَةً أَيْضاً لأَقُوْلَ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تَسْتَطِيْعُوْنَ أَنْ تَحْتَمِلُوْا الآنَ. وَأَمَّاْ مَتَىْ جَاْءَ ذَاْكَ رُوْحُ الحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ الـى جَمِيْعِ الحَقِّ لأَنَّـهُ لا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَاْ يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُوْرٍ آتِيَـةٍ. ذَاْكَ يُمَجِّدُنِيْ

لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِيْ وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِيْ. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِيْ وَيُخْبِرُكُمْ. بَعْدَ قَلِيْلٍ لا تُبْصِرُوْنِيْ. ثُمَّ بَعْدَ قَلِيْلٍ أَيْضاً تَرَوْنَنِيْ." (يُوحَنَّا ١٦: ١٥- ١٦)

لقد أُصِيبَ الرُّسُلُ بالحُزنِ، لأنَّ يسُوعَ أوضَحَ لهُم أنَّهُم كانُوا على وشكِ فُقدانِهِ. ولكن في هذا الإطار، نَجِدُ واحِداً من أعظَمِ تصريحاتِهِ عنِ الرُّوحِ القُدُس. "خَيرٌ لكُم أن أنطَلِق. لأنَّهُ إن لم أنطَلِقْ لا يأتِيكُمُ المُعَزِّي." (١٦: ٧) طريقَةٌ أُخرى للتَّعبيرِ عن هذا المَفهُوم هي: "الحقَّ أقُولُ لكُم إنَّهُ من أجلِ خَيرِكُم أنا أمضِي بعيداً، لأنَّني إن لم أمضِ بعيداً، لن يأتِيَكُم المُعَزِّي. ولكن إن مَضَيتُ، سأُرسِلُهُ إليكُم."

هل سبقَ وفكَّرتُم بشخصِيَّةِ يسُوع التَّارِيخيَّة الجذَّابَة والساحِرة بمواهِبِهِ، وماذا كانَ يعني أن يَكُونَ الإنسانُ معَ يسُوع عندما كانَ معَ تلاميذِهِ بالجَسَد؟ وهل سبقَ وفكَّرتُم قائِلينَ في أنفُسِكُم، "كُنتُ أتمنَّى لو أنَّني كُنتُ مع يسُوع"؟ أُحِبُّ أن أتأمَّلَ بشَكلِهِ الجَسَدِيّ. بإمكانِنا تجميعَ بعضِ المُلاحَظات عن شَكلِهِ، عندما نَجِدُ في هذه الأناجيل وفي الأنبياء، وأن نُكَوِّنَ صُورَةً تجريبيَّةً عن شكلِ يسُوع الجسديّ المَنظُور.

نعلَمُ أنَّ يسُوعَ الذي نتعرَّفُ عليهِ في الأناجيل هُوَ رَجُلٌ في الثَّالِثَةِ والثَّلاثِين منَ العُمر. ويُمكِنُ تعريفُهُ بِبَساطة بأنَّهُ يَهُودِيّ. يُخبِرُنا الأنبياءُ أنَّهُ سَيَكُونُ رَجُلَ أوجاعٍ ومُختَبِرُ الحزن. ويَقُولُونَ أيضاً أنَّ "منظَرَهُ كانَ مُفسَداً أكثَرَ منَ الرَّجُل، وصُورَتُهُ أكثَر من بَني آدم." (إشعياء ٥٢: ١٤). المُؤَرِّخُ اليَهُودِيُّ يُوسيفُوس كتبَ يَقُولُ أنَّ يسُوع كانَ أطوَلَ قامَةً من صَيَّادِي السَّمَك الطَّويلي القَامة أمثال بُطرُس، الذين مَشَوا معَهُ لأكثَرِ من ثلاثِ سنواتٍ، لأنَّهُ كانَ يُمكِنُ أن يُرى يسُوعُ فوقَهُم جميعاً لأنَّهُ كانَ أطولَ قامَةً منهُم.

نتعجَّبُ نَوعاً ما عندَما نقرَأُ أنَّ مظهَرَهُ كانَ بِشَكلِ رَجُلٍ سَعيد. لقد إنتُقِدَ يسُوعُ لكَونِهِ يأكُلُ ويشرَبُ معَ العَشَّارينَ والخُطاة. فالمَظهَرُ الخارِجيُّ كثيراً ما يَدُلُّ على شَخصِيَّةِ الإنسان. لدَيَّ صُورَةٌ ليسُوع الشَّاب مُعَلَّقَةً على جِدارِ مكتَبِي، بوجهٍ ضاحِكٍ بَسَّام. وعُنوانُ الصُّورَةِ المُدَوَّنُ أسفَلَها يَقُولُ: "يسُوعُ الضَّاحِك."

هذه الصُّورَة تصدِمُ الكثيرين منَ الذينَ يَرونَها. فكثيرُونَ يُصَوِّرُونَ يسُوعَ مُسِنّاً أكثَرَ جدّاً مِمَّا كانَ بالفِعل، فيُصَوِّرُونَ شخصاً حزيناً مُتَجَهِّماً،

يبدُو وكأنَّ ثِقلَ العالَمِ قد أُلقِيَ على عاتِقَيه. يطرَحُ كِتابٌ عُنوانُهُ "يشُوَاع" السُّؤال، "كيفَ كانَ سيَكُونُ شَكلُ يسُوع لو عاشَ بينَنا اليوم؟" النُّقطَةُ التي شدَّدَ عليها المُؤلِّفُ هي أنَّنا سنتعجَّبُ كثيراً بسببِ التَّحيُّز المُسبَق الذي نحمِلُهُ في عُقُولِنا حيالَ كيفَ نَرَى يسُوع.

ولكنَّ كَلِمات يسُوع الأخيرة لهؤلاء الإثنَي عشَر تَقُولُ لهُم أنَّ هُناكَ ما هُوَ أفضَل من أن يَكُونُوا معَهُ، لأنَّهُم رافَقُوهُ وكانُوا معَهُ لثلاثِ سنواتٍ. فقالَ لهُم ولنا ما جَوهَرُ معناهُ: "من أجلِ خَيرِكُم؛ خيرٌ لكُم أن أترُكَ جَسَدِي وأرجِعَ إليكُم بِشَخصِ المُعَزِّي."

عندما عاشَ يسُوعُ بالجَسَد، تخلَّى يسوع بإرادته عن بعض الأوصاف الإلهيّة التي كان يتمتّع بها، مثل الوجود الكلّي. كانَ يمكنه أن يكون في مكانٍ واحدٍ في آنٍ واحدٍ. لكن بعد حدوث هذا التغيير، وذلك لمصلحة التلاميذ والكنيسة، يمكنه أن يكون في كلّ مكانٍ يتواجد فيه مؤمنٌ ما، وفي كلِّ أنحاء العالم في الوقت عينه. وهذا ما يقصده هنا يسوع. فهو يقصد ما يلي: "إن لم أنطلق ولم أتخلَّ عن شكل هذا الجسد، لا يمكن أن يأتيَ المعزّي إليكم. لكن إذا تخلّيتُ عن هذا الجسد، سأرسله إليكم وهذا أفضل لكم. إنَّهُ من أجلِ خَيرِكُم. إنَّهُ خَيرٌ لكُم أن أنطَلِق لأنَّهُ إن لم أنطَلِق لا يأتيكُم المُعَزِّي". (يُو ١٦: ٧)

وقد شرح يسوع لِمَ ذلك خيرٌ لنا: "وَمَتَىْ جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ العَالَمَ عَلَىْ خَطِيَّةٍ". (٨) وثمّة ترجمة أوضَح تَقُول: "سوف يفضَحُ ذَنبَ العالم". فالذَّنبُ ليسَ دائماً إختباراً عاطِفيَّاً سَلبِيَّاً. ثمّة معنًى يكون فيه الذَّنبُ جيّداً. فإن كان لدى شخصٍ شُعُورٌ بالذَّنب، فأوّل أمرٍ تعرفونه حول ذلك الشخص هو أنّه يتمتّع بسلامة العقل. فلِكَي يشعُرَ الشَّخصُ بالذَّنب – أي أنَّ لدَيهِ مُطلقاتٌ أخلاقِيَّة – فهذا يعني أنَّهُ يُؤمِنُ بأنَّ بعضَ الأُمُورِ هي صحيحة تماماً، والبَعضُ الآخر هي خَطأ تماماً. الإنسانُ الذي لا يشعُرُ بالذَّنبِ بتاتاً هُوَ شَخصٌ لا يُبالِي بما هُوَ صوابٌ أو خطأ. ويُمكِنُ إعتِبارُهُ شَخصاً لا يُؤمِنُ بالثَّوابِتِ الأخلاقِيَّة.

هذا ما يُوصَفُ غالِباً بالنِّسبِيَّةِ الأخلاقِيَّة، التي يُمكِنُ أن تَكُونَ طريقَةً أُخرى للقَولِ بأنَّهُ لا تُوجَدُ ثوابِت أخلاقِيَّة مُطلَقَة. يُحاوِلُ الكَثيرُونَ التَّهرُّب من شُعُورِهِم بالذَنب أو من ذَنبِ الآخرين اليوم، بالقَولِ أنَّهُ لا يُوجَدُ ما

يُسَمَّى بالصَّوابِ والخَطأ. ولكن، هذا يُشبِهُ رَشَّ الماء على تورُّمٍ خَبيثٍ يحتاجُ إلى الإستِئصال.

أُحِبُّ أن أقرأ عن نهضَةِ القرن الثامن عشر،خاصَّةً عن مشاهير الوعَّاظ المُبَشِّرين أمثال George Whitfield و Wesleys و Jonathan Edwardsبالإنجيل في أميركا، فجاؤُوا بنتائِجَ خارِقَة للطَّبيعة. ثمّة وصفٌ لمُزارعٍ في New England قد سَمِعَ وعظَ المُبَشِّر George Whitfield في ذلك الوقت عندما أتى الى New England في أميركا ليبشّر. كتبَ المُزارِعُ يَقُول "عندما بدأ يتكلّم، شعرتُ بألمٍ كبيرٍ في قلبي. فوقعتُ على ركبتيّ في الحقل وشرعتُ بالبكاء والإعتراف بخطاياي، وبالتوبة ونَبْذِ خطاياي".

بهذه الطَّريقَة يفضَحُ الرُّوحَ القُدُسَ الخَطايا والذُّنُوب في هذا العالم. فلماذا قد يشعر مزارعٌ بألمٍ كبيرٍ في قلبه عندما يسمع هذا الرجل ذو الوجه الملائكيّ يبشّر بالإنجيل؟ بحَسَبِ قَولِ يسُوع، هذه إحدى وظائف الروح القدس وخدماته. كَثيرُونَ ما كانُوا ليَشعُرُون بأيِّ ذَنبٍ بتاتاً في ذلكَ الحقل، وبعض الناس ضحكوا عندما سمعوا ذلك الرجل يعظ من الإنجيل، ولم يشعروا بخطيئتهم.

كجزءٍ من تلك النَّهضَة الرُّوحيَّة، ألقَى Jonathan Edwards تلك العظة الرائعة تحت عنوان: "خُطَاةٌ في يد إلهٍ غاضبٍ". وبعد أن قدّم تلك العظة في كنيسته المحلِّيَّة في New England، تبكّت الناس كثيراً على خطاياهم لدرجةٍ أنّهم تمسّكوا بالمقاعد التي كانت أمامهم، وشعروا كأنّهم ينزلقون الى الجحيم، وذلك بسبب شعورهم بخطاياهم، وبأنَّ الطريقَة الوحيدة للنَّجاةِ منَ الجحيم كانت بالإعتِرافِ بِخطاياهُم وبإختِبارِ الخلاص.

أحياناً أَظُنُّ أنَّنا إذا ألقَينا تلكَ العظة نفسَها اليوم، ولكن بِدُونِ مسحَةِ الرُّوحِ القُدُس التي كانت على جُوناثان إدواردز، فإنَّ النَّاس سيَظُنُّونَها كُوميديا. الفَرقُ يكمُنُ في خدمَةِ وعَمَلِ الرُّوحِ القُدُس، كما يُظهِرُهُ يسُوعُ خلالَ وصفِهِ ما سيعنيهِ حُلُول الرُّوح المُعَزِّي على خدمَةِ الوعظ التي يَقُومُ بها أُولئكَ الذين يُطِيعُونَ المأمُوريَّةَ العُظمَى. نجدُ هذا التَّجاوُبَ نفسَهُ معَ الوعظِ بالإنجيل كما نقرَأُ في سِفرِ الأعمال. إبتداءً من وعظِ بُطرُس يوم الخَمسين، وعبرَ كُلِّ تاريخِ ذلكَ الجيل الأوَّل منَ الكنيسة، نجِدُ إشاراتٍ إلى تجاوُبٍ خارِقٍ للطَّبيعَة معَ وعظِ الإنجيل. (أعمال ٢: ٣٧؛ ١٠: ٤٤- ٤٦).

لطالما كانت لدينا إجابةٌ مختلطةٌ عن إنجيل المسيح وعن المسيح بحدّ ذاتهِ، كما نرى هنا في الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنّا. لكن ما الذي يعمَلُ هذا الفَرق؟ لِمَ قد يضحك البعض، والبعض الآخر يشعر بحزنٍ عميقٍ في قلبهِ، فيصرُخُ إلى اللهِ طالِباً الخلاص؟ منَ الواضِحِ أنَّ خدمَةَ وعملَ الرُّوحِ القُدُس هُوَ الذي يعمَلُ فرقاً بينَ هذينِ التَّجاوُبَين.

قال يسوع لتلاميذِهِ أنّه عندما يأتي المُعَزِّي، سيُبَكِّتُ العَالَمَ عَلَىْ خَطِيَّةٍ، أو سيفضحُ ذَنبَ العالم، على ثلاثَةِ مُستَويات: الخطيَّة، البِرّ والدَّينُونَة. "أَمَّاْ عَلَىْ خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُوْنَ بِيْ. وَأَمَّاْ عَلَىْ بِرٍّ فَلأَنِّيْ ذَاْهِبٌ الى أَبِيْ وَلا تَرَوْنَنِيْ أَيْضاً. وَأَمَّاْ عَلَىْ دَيْنُوْنَةٍ فَلأَنَّ رَئِيْسَ هَذَاْ العَاْلَمِ قَدْ دِيْنَ". (يُوحَنَّا ١٦: ٩- ١١) وقال إنّ الروح القدس سيبكّت العالم بثلاثِ طرقٍ على الخَطيَّة أو سيفضَحُ الذَنب. بِحَسَبِ يسُوع، سيبكّت الرُّوحُ الناس على خطيّةٍ لأنّهم لم يؤمنوا به. تذكّروا الإصحاح الثالث من هذا الإنجيل، عندما قدَّمَ يسوع أكثَرَ تصريحٍ عقائِديٍّ لهُ، إذ قالَ لنيقوديموس إنّه إبن اللهِ الوحيد الذي سيُرْفَعُ على الصليب، والمخلِّص الوحيد الذي أرسله اللهُ، والحلّ الوحيد الذي يملكه اللهُ لمشكلة الخطايا في العالم. (يُوحَنَّا ٣: ١٤- ٢١) وبعد أن أخبر نيقوديموس بذلك التَّصريحِ العقائِدي الحاسِم، أضاف يسوع تصريحاً عقائِديّاً أكثَر حسماً، عندما قالَ ما معناهُ: "من آمنَ بهذا تكُونُ لهُ الحياةُ الأبديَّة. وكلُّ من لا يُؤمن سيُدان – ليسَ بِسَبَبِ خطاياهُ فحَسب، بل لأنَّهُ لم يُؤمِنِ بي عندما أقُولُ أنَّني إبنُ اللهِ الوحيد والمُخَلِّصُ الوحيد المُرسَل منَ الله. (٣: ١٨)

يُخبِرُنا الرسول بولس في مقطعٍ رائعٍ، أنّ اللهَ كانَ في المسيح يصالح العالم لِنَفسِهِ، غيرَ حاسِبٍ لهُم خطاياهُم. ولقد أَوْكَلَنَا بنشر رسالة المصالحة وخدمتها. فعلينا أن نذهب الى كلّ أنحاء العالم ليس لنخبرهم بأنّهم سيذهبون الى الجحيم بسبب خطاياهم، بل لنخبرهم أنّه ليس عليهم أن يذهبوا الى الجحيم بسبب خطاياهم. ففي اللحظة التي مات يسوع فيها على الصليب، لم يَعُدِ اللهُ الآبُ يتّهم الناس بخطاياهم، بل حسبَ كُلَّ هذهِ الخطايا على إبنهِ الوحيد يسُوع المسيح. (٢كُورنثُوس ٥: ١٣- ٦: ٢).

إذا فهِمنا وآمنَّا بهذه الكلمات التي تكلَّمَ بها يسُوعُ وبُولُس،، عندئذٍ علينا أن نُدرِك أنّ اللهَ لا يرسل الخُطاةَ الى الجحيم بسبب خطاياهم - ولا حتّى

أدولف هتلر. أعتقد أنّ أدولف هتلر لن يذهب الى الجحيم بسببِ الخطايا التي إرتَكَبَها، لكنّه سيذهب الى الجحيم بسبب خطيئةٍ واحدةٍ وهي الآتية: أنَّهُ لم يؤمن بيسوع المسيح. بَل هَزِءَ بيسوعَ المسيح وبقِيَمِهِ وتعليمه وفلسفته. لهذا السبب سيذهب الى الجحيم، لأنَّهُ لم يؤمن بيسوع المسيح.

فَبِحَسَبِ يسُوع، الخَطِيَّةُ التي تَدينُنا هي خطِيَّةُ عدَمِ إيمانِنا بيسُوع المسيح كالمُخَلِّصِ الوَحيد الذي أرسلَهُ اللهُ لخلاصِ نُفُوسِنا. بهذه الكلمات، يُعَزِّزُ يسُوعُ التَّصريحَ العقائِديّ الذي قدَّمَهُ لِنيقُودِيمُوس، عندما أخبرَ الرُّسُلَ قائِلاً أنَّ الرُّوحَ القُدُسَ سيُبَكِّتُ على خَطِيَّةِ عدَمِ الإيمانِ بهِ. وسيبكّتهم الروح القدس على ثلاثة أمورٍ: الخطيئة والبِرّ والدينونة. أمّا على الخطيئة فلأنّهم لا يؤمنون بِيسُوع أنَّهُ المَسيح وأنَّهُ مُخَلِّصُنا ورَبُّنا الشَّخصِيّ: "وأمّا على البرّ فلأنّه ذاهبٌ الى الآب." (١٠) فكيفَ نعرِفُ ما هُوَ صَوابٌ مِمَّا هُوَ خَطأ؟ وهل يُوجَدُ مِعيارٌ مُطلَقٌ لما هُوَ صَوابٌ وخَطأ؟ يُجيبُ أَتباعُ المسيح الأتقِياء على هذا السُّؤال بالتَّفكيرِ بالوصايا العَشر وبالمَوعِظَة على الجَبَل. فبِحَسَبِ بُولُس الرَّسُول، "كُلُّ الكتابِ هُوَ مُوحَىً بهِ منَ الله، ونافِعٌ للتَّعليمِ والتَّوبِيخ، للتَّقويمِ والتأدِيب الذي في البِرّ." (٢تيمُوثاوُس ٣: ١٦، ١٧). يُرينا الكِتابُ المُقدَّسُ بأكمَلِهِ ما هُوَ صوابٌ وما هُوَ خَطأ.

لكن، في مقدّمة هذا الإنجيل، كتبَ يُوحَنَّا أنَّ لا أحد قد رأى اللهَ يوماً إلاَّ الإبن الوحيد الذي هو في حضن الآب قد خبّر. لقد أَظْهَرَ يسُوعُ اللهَ بالكامل للإنسان بقدر ما يستطيع العقل البشريّ أن يفهم اللهَ. هكذا تمّ إظهار اللهِ من خلال يسوع المسيح. إنّ يسوع الذي نلتَقي بهِ في هذا الإنجيل كالكلمة الحيّة، هُوَ مِعيارُ اللهِ المُطلَق للبرّ. وتشكّل حياة يسوع التعريف الحَيّ المُطلَق لِما هو صحيحٌ وخطأ.

كتبَ أحدُ الشُّعراءِ البَريطانِيِّين قَصيدَةً تَصِفُ جُندِيّاً خاطِئاً جداً، وقُتِلَ في المعرَكة، ثُمَّ ذَهبَ خطأً إلى السماء. عندما إلتَقى بيَسُوع، لم يَسَعْهُ أن يحتَمِلَ أن ينظُرَ إليهِ، فطَلَبَ منهُ بِحُزنٍ شديد، "يا سَيِّد، هل بإمكانِي أن أذهَبَ إلى الجَحيم؟" إنَّ حياةَ وهيئَةَ يسُوع كانت نَقِيَّةً ومُقدَّسَةً جدّاً عندما كانَ هُنا في عالَمِنا، لدَرَجَةِ أنَّهُ لم يَكُنْ فقط المعيار المُطلَق للبِرّ. بل وأيضاً وبَّخَ النَّاسَ على خطاياهُم. عندما نقرَأُ العهدَ الجَديد، فإنَّ الحياةَ البارَّةَ التي

عاشَها يسُوع المسيح التَّاريخيّ لا تزالُ حتَّى الآن تُبَكِّتُنا على خطايانا وآثامِنا الشَّخصِيَّة.

ويبدو أنّه يقول هنا إنّ الروح القدس سوف يبكّت العالم على البرّ لأنّه "ذَاْهِبٌ الى أَبِيْهِ وَلن يَرَوْهُ أَيْضاً". (١٦، ١٧، ١٩) وطالَما كانَ في العالم، فإذا أردتُم أن تعرِفُوا ماذا كانت القِيم الصَّحيحة، فبإمكانِكُم ببساطَة إتِّباع يسُوع، وعندما يُعلِنُ قِيمَةً، فبإمكانِكُم الإعتِراف بِصِحَّةِ هذه القِيمَة أو المبدأ. وإذا أردتُم معرفةَ فلسفة الحياة الصحيحة، فبإمكانِكُم الإصغاء إليهِ عندما أعطَى تعليمَهُ البَسيط والعميق هذا.

وإذا أردتُم أن تعرفوا أموراً حول أيِّ نوعٍ من البرِّ، إنّ حياة يسوع المسيحِ كانتِ المعيارَ المثاليَّ لِما هو صحيحٌ. لكنّه الآن يقصد ما يلي: "أنا ذاهبٌ. سأعود الى الآب. لن تروني بعد الآن. وعندما أُصبِحُ غائِباً عنكُم هُنا، فإنَّ الرُّوحَ القُدُس سيُبَكِّتُ النَّاسَ في هذا العالم على ما هُوَ صوابٌ وما هُوَ خطأ" (٧- ٨).

ومن ثمّ، يقول إنّ الروح القدس سيبكّت العالم على الدينونة، لأنّ رئيس هذا العالم قد دِيْنَ. هُنا يُوضح يسوعُ أنّ الشيطانَ قد هُزِم! وأنّ ما من قوّةٍ على الأرض أعظم من قوّة إسم يسوع المسيح. وعلى الرَّغم من أنَّ قُوَّةَ الشيطان قد تكون تُسَيطِرُ على مُعظَمِ ما يجري في العالم، لكن بالنِّسبَةِ للتِّلميذِ المُقاد بِالرُّوحِ القُدُس وبالمسيح المُقام، ما من قوّةٍ على الأرض أعظم من يسوع المسيح الحَيِّ المُقام.

وما يقوله هو إنّ "رئيس هذا العالم" (١١) يُمكِنُ أن يُهزَمَ بِالرُّوحِ القُدُس. كانَ الرَّسُولُ يُوحَنَّا يُفَكِّرُ بكلماتِ المسيح هذه عندما كتبَ يَقُولُ: "الذي فيكم هو أعظمُ من الذي في العالم". (١يُوحَنَّا ٤: ٤) التَّطبيقُ الشَّخصِيُّ هُوَ أنَّهُ يجب ألّا تغلبَنا قوّة الشيطان أو تُسَيِّرَنا. يعطينا يسوع وصفاً عظيماً لخدمة الروح القدس بينما يتكلَّمُ بهذه الكلمات.

ويقول يسوع في العدد الثاني عشر: "إِنَّ لِيْ أُمُوْراً كَثِيْرَةً أَيْضاً لأَقُوْلَ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تَسْتَطِيْعُوْنَ أَنْ تَحْتَمِلُوْا الآنَ". لدينا هنا تصريحٌ عميقٌ جدَّاً، ويمكننا كتابَة صفحاتٍ كاملةٍ عن كُلِّ عددٍ من هذه الأعداد.

كُلُّ واعِظٍ أو مُعَلِّمٍ عليهِ أن يُدرِكَ أنَّ أُولئكَ الذين يُصغُونَ إليهِ، لديهم قُدرَة محدُودَة على التَّعلُّم، في كُلِّ مرَّةٍ يسمَعُونَ فيها كَلِمَةَ الله. فالكَثيرُ منَ

الوعظِ والتَّعليم في مُناسَبَةٍ واحِدَةٍ قد يكُونُ لهُم مفعُولٌ عَكسِيٌّ غير مُنتِج. لقد كانَ يسُوعُ المُعَلِّمَ الأعظم في صناعَةِ التَّلاميذ. وطريقَتُهُ كانت أنَهُ في فتراتٍ زمنيَّةٍ قصيرة، كانَ التَّلاميذُ يتعلَّمُونَ بالعَمَلِ ما كانُوا يسمَعُونَهُ بالقَول. مُعظَمُ ثقافَتِهِم كانت عمليَّةً، لأنَّ يسُوعَ ألقَى عليهِم القَليلَ منَ الخُطَب. لهذا شجَّعَ يسُوعُ طرحَ الأسئِلَةِ وإثارَةَ النِّقاشاتِ معَ هؤُلاء الرِّجال. منَ الواضِحِ أنَّهُ كانَ لدَيهِ فهمٌ كامِل لمقدارِ قُدرَتِهِ على التَّعلُّم في وقتٍ مُحدَّد.

وبعدَ أن أوضَحَ نُقطَتَهُ بأنَّهُ كانَ واعِياً لمحدُودِيَّةِ قُدرَتِهِم على التَّعلُّمِ في ذلكَ الزَّمانِ والمكان، قال: "وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُم إلى جميعِ الحَقِّ، ... ويُخبِرُكُم بأُمُورٍ آتِيَة" (يُوحَنَّا ١٦: ١٣) هذه النُّبُوَّة عن مُستَقبَلِ خِدمَةِ الرُّوحِ القُدُس تحتَوي بالتأكيد على ما علَّمَهُ يسُوعُ عن الأحداثِ المُستَقبَلِيَّة التي ستُرافِقُ مجيئَهُ الثَّانِي، في العديدِ من أمثالِهِ، وفي تعاليمِهِ مثل عِظتِهِ على جَبَلِ الزَّيتُون (متَّى ٢٤ و٢٥). ولكنَّها تتعلَّقُ أيضاً بالحقيقَةِ القاسِيَة أنَّ هؤُلاء الرِّجال كانُوا يتحرَّكُونَ نحوَ مُستَقبَلٍ مَليءٍ بالمخاطِرِ والغُمُوض.

لقد عرفُوا أنَّهُم لَرُبَّما سيَكُونُونَ جميعُهُم شُهداء لأجلِ يسُوع – ولقد كانُوا بالفِعلِ كذلكَ، بإستِثناءِ كاتبِ هذا الإنجيل. ولكن كيفَ كانُوا سيَعرِفُونَ ستراتيجيَّة وخُطَّةَ يسُوع لتطبيقِ المأمُوريَّةِ العُظمَى، في حضارَةٍ كانت مُعادِيَةً تجاهَ رَبِّهِم وتجاهَ الإنجيل الذي كلَّفَهُم رَبُّهُم بالكِرازَةِ بهِ؟ وماذا كانُوا سيفعَلُونَ إذا تمَّ توقيفُهُ وإعدامُهُ. كانَ جوابُهُ على هذا أنَّهُ في المُستَقبَل، عندما سيُؤخَذُ منهُم، الرُّوحُ القُدُسُ سيُعلِمُهُم بما يحتاجُونَ مَعرِفَتَهُ.

خلالَ قِراءَتنا لِسفرِ الأعمال، نرى هذا الوصف التَّنبُّئِي الواضِح عن دَورِ الرُّوحِ القُدُس وعملِهِ المُستَقبَلِيَّين، بينما يتحقَّقانِ حرفِيّاً. فعندما جاءَ الرُّوحُ القُدُسُ يومَ الخَمسين، عندما لم يَعرِفْ التلاميذُ ماذا عليهِم فِعلُهُ، أعطاهُم الحكمة التي كانُوا يحتاجُونَها والنِّعمة والشَّجاعَة للقِيامِ بالعَمَل. وأعطاهُم الرُّوحُ القُدُسُ النِّعمَةَ لِتَطبيقِ الحكمَةِ التي أعطاهُم إيَّاها. وأظهَرَ لهُم ما سيحدُثُ في المُستَقبَل. فالرُّوحُ القُدُسُ هُوَ المُؤلِّفُ الحقيقيُّ للرَّسائِلِ المُوحى بها التي كتبَها الرُّسُل، والتي تُخبِرُنا بطُرُقٍ عجيبة عن مُستَقبَلِ هذا العالم.

هذا هُوَ التَّطبيقُ الشَّخصِيّ، التَّعبُّدِيّ والعَمَلِيّ بالنِّسبَةِ لكَ ولي:فالرُّوحُ القُدُس نفسهُ الذي تكلَّمَ عنهُ يسُوعُ نبَويَّاً بهذه الكلمات، يُمكِنُهُ أن يَقُومَ بهذا الدَّورِ وأن يعمَلَ هذا العمل في حياتِنا اليوم. وبإمكانِهِ أن يُرينا أُمُوراً آتِيَة مُتَعلِّقَة بمجيءِ المسيحِ ثانِيَةً، من خلالِ دراسَتِنا لكلمةِ الله. وبإمكانِهِ أن يَقُودَ حياتَنا ويُوجِّهها، اليوم، غداً، وبعدَ غَد، بإعطائِنا الحكمة التي نعرِفُ أنَّنا لا نتمتَّعُ بها، والنِّعمَةَ والشَّجاعَةَ لنُطَبِّقَ الحكمَةَ التي يَمنَحُنا إيَّاها. عندما لا نعلَمُ ما يتوجَّبُ علينا أن نعمَل، يَحُضُّنا يعقُوبُ أن نطلُبَ منَ اللهِ حكمَةً، "إن كانَ أحدٌ تُعوِزُهُ حِكمَةٌ، فَلْيَطلُب منَ اللهِ الذي يُعطي الجميعَ بِسخاءٍ ولا يُعَيِّر، وسيُعطَى لهُ." (يعقُوب ١: ٥).

عندَما نُدرِكُ أنَّنا لا نستَطيعُ تطبيقَ هذه الحِكمة بِدُونِ مُساعَدَةِ الله، سيُعطينا الرَّبُّ أيضاً النِّعمَةَ لنُطَبِّقَ الحكمَةَ التي يُعطينا إيَّاها. يُؤكِّدُ بُولُس الرَّسُول في عددٍ مليءٍ بأفعَلِ التَّفضِيل أنَّ اللهَ سيُعطينا أيضاً فيضاً منَ النِّعمَةِ التي نحتاجُها عندما نُدرِكُ أنَّنا لا نستطيعُ تطبيقَ هذه الحكمة بِدُونِ مُساعَدَتِهِ: "واللهُ قادِرٌ أن يَزيدَكُم كُلَّ نِعمَةٍ لِكَي تَكُونُوا ولَكُم كُلُّ إكتِفاءٍ كُلَّ حِينٍ في كُلِّ شَيءٍ تزدادُونَ في كُلِّ عَمَلٍ صالِح." (٢كُورنثُوس ٩:٨).

بَعدَ المُشارَكَة بهذا الوصفِ لخدمَةِ الرُّوحِ القُدُس المُستَقبَلِيَّة، قالَ يسُوعُ للرُّسُل: "بَعْدَ قَلِيْلٍ لا تُبْصِرُوْنِيْ. ثُمَّ بَعْدَ قَلِيْلٍ أَيْضاً تَرَوْنَنِيْ". (يُوحَنَّا ١٦: ١٦) منَ الواضِحِ أنَّهُ كانَ يستَدرِجُهُم ليطرَحُوا عليهِ أسئِلَةً. ولكنَّهُم تساءَلُوا فيما بَينَهُم: "مَاْ هُوَ هَذَاْ الذِيْ يَقُوْلُهُ لَنَاْ بَعْدَ قَلِيْلٍ لا تُبْصِرُوْنَنِيْ ثُمَّ بَعْدَ قَلِيْلٍ أَيْضاً تَرَوْنَنِيْ وَلأَنِّيْ ذَاْهِبٌ الى الآبِ. فَقَاْلُوْا مَاْ هُوَ هَذَاْ القَلِيْلُ الذِيْ يَقُوْلُ عَنْهُ. لَسْنَاْ نَعْلَمُ بِمَاْذَاْ يَتَكَلَّمُ".

كما أشَرتُ سابِقاً، من خلالِ هذه العِظَة قالَ يسُوعُ أنَّهُ سيَمُوتُ، وأنَّهُ بعدَ مَوتِهِ ستَكُونُ علاقَتُهُم بهِ أكثَرُ حميميَّةً ممَّا كانت عليهِ من قَبل. من وُجهَةِ نظَرِنا، منَ السَّهلِ أن نفهَمَ ما كانَ يُخبِرُهُم بهِ. ولكن، إذا وضعتُم أنفُسَكُم مكانَ هؤُلاء الرِّجال، هل بإمكانِكُم أن تَرَوا كم كانَ صعباً عليهِم أن يفهَمُوا ما كانَ يسُوعُ يُعَلِّمُهُم بِهِ.

بينما كانُوا يسألُونَهُ عن مَعنى قَولِهِ: "بَعْدَ قَلِيْلٍ لا تُبْصِرُوْنِيْ. ثُمَّ بَعْدَ قَلِيْلٍ أَيْضاً تَرَوْنَنِيْ.." إستَخدَمَ يسُوعُ إيضاحاً جَميلاً عنِ المرأةِ التي تَلِدُ طِفلاً. (٢١- ٢٢) هذه إستِعارَةٌ مجازِيَّةٌ عنِ الحقبَةِ القَصيرَة التي كانت

ستمضِي، والتي يَروهُ بعدها – أي عندَما يُؤخَذُ منهُم، ويُصلَبُ ويُدفَنُ قَبلَ قيامَتِهِ.

خلالَ الأربعينَ يَوماً التي قضاها يسُوعُ على الأرضِ بعدَ القِيامَة، عندما كانَ يُظهِرُ لهُم نفسَهُ حَيَّاً، مُبَرهِناً لهُم قيامَتَهُ ببراهِينَ لا تُدحَض، فَرِحُوا فرحاً عظيماً، كذلكَ الفرَح التي تشعُرُ بهِ المرأَةُ بعدَ ولادَتِها طِفلاً جديداً إلى هذا العالم. وكما يُؤَدِّي فرَحُ الأُمِّ بِولادَةِ طفلِها إلى نِسيانِها لِكُلِّ الآلام التي عانَت منها، سَيَكُونُ لدَى التَّلاميذ فَرحٌ سيُنسِيهم الحُزنَ الذي شعرُوا بهِ عندَ مَوتِ يسُوع على الصَّليب. وهذا الفَرَحُ لن يُنزَعَ منهُم بتاتاً. ويُضيفُ يسُوعُ على هذه الإستِعارَة الجميلة المُلاحَظة التي تَقُولُ بأَنَّهُم لن يسألُوهَ شيئاً بعدَ ذلكَ.

كما في صلاةِ التَّلاميذ ("أبانا الذي في السَّماواتِ"، متَّى ٦: ٩- ١٣)، يُعَلِّمُهُم يسُوعُ أَنَّهُ عليهم أن يُخاطِبُوا الآبَ عندَما يُصَلُّونَ، وأن يُوجِّهُوا طلباتِهِم للآبِ بإسمِ يسُوع المسيح. ولقد علَّمَهُم بالحقيقَةِ أَنَّهُ عليهم أن يُقَدِّمُوا طلباتِهم للآبِ بإسمِهِ. هذا المقطع هُوَ في غايَةِ الأهمِّيَّة، لأَنَّهُ يُعطِينا البُرُوتُوكول الصَّحيح لصلاتِنا الفَردِيَّة والجَماعِيَّة. فعندَما نُصَلِّي كما عَلَّمَ رَبُّنا هؤلاء الرُّسُل أن يُصَلُّوا، علينا أن نُخاطِبَ الآبَ (وليسَ يسُوع)، وأن نتكلَّمَ معَ الآبِ بإسمِ الإبن يسُوع المسيح.

ومن خلالِ أعدادٍ مُتَفَرِّقَةٍ في العهدِ الجديد، منَ المُمكِنِ أن نُكَوِّنَ الإنطِباع أنَّ الصَّلاةَ هي قَضِيَّةُ مَجيءٍ إلى المخدَع ونحنُ حامِلينَ لائِحَةَ تَسَوُّقٍ، فنُرسلُ اللهَ ليَشتَريَها لنا. إن كانَت هذه هي فِكرَتُنا عنِ الصَّلاة، فنحنُ لا نفهَمُ جوهَرَ الصَّلاة المُتَشبِّهَة بالمسيح، إلى أن نتعلَّمَ ماذا يعني أن نُصَلِّي بإسمِ يسُوع. فأن نُصَلِّي بإسمِ يسُوع، يعني أن نُصَلِّي بإنسِجامٍ معَ جَوهَرِ مَنْ وما كانَ يسُوعُ وما هُوَ عليهِ الآن. لقد كانت صَلاةُ يسُوع النَّموذَجِيَّة، "لِتَكُن لا إرادَتي، بل إرادَتُكَ." (متَّى ٢٦: ٣٩) أن نُصَلِّي كما عاشَ يسُوع وصَلَّى يعني أن نُصَلِّي بإنسجامٍ معَ مَشيئَةِ الله.

الصَّلاةُ بإسمِ يسُوع ليسَ دَعوَةً لنطلُبَ منَ اللهِ أيَّ شَيءٍ بإسمِهِ، وكأَنَّهُ هُناكَ تركيبَةٌ سِحريَّةٌ تفتَحُ قَلبَ الله. إنَّها تعليمٌ لنَجعَلَ تضَرُّعاتِنا حِيالَ الحاجاتِ التي لَدَينا، لنجعَلَها تَكُونُ مُنسَجِمَةً معَ مقاصِدِ الله. هذا هُوَ المبدأُ نفسُهُ الذي علَّمَ عنهُ بُولُس الرَّسُول عندما أعطانا الوعدَ العَظيم بأَنَّ "كُلَّ

الأشياء تعمَلُ معاً لِلخَير للذين يُحِبُّونَ اللهَ، المدعُوُّونَ حسبَ قَصدِهِ." (رومية ٨: ٢٨)

مثلاً، عندما نُطِيعُ مأمُوريَّتَهُ العُظمَى ونبني كنيستَهُ كجزءٍ من إتمامِ إرسالِيَّتِهِ العُظمى في هذا العالم، عندَها بإمكانِنا أن نطلُبَ أيَّ شَيء ينسَجِمُ معَ إرادَةِ اللهِ، فنَنالُهُ. وسيَكُونُ فَرَحُنا كامِلاً عندما يُؤمِنُ النَّاسُ بالإنجيلِ، ونَكُونُ في علاقَةٍ معَ المسيحِ المُقام، بينما يبني هُوَ كنيستَهُ في هذا العالم. هذا هُوَ كُلُّ ما نحتاجُهُ إذا أردنا أن نَكُونَ تلاميذَ حقيقيِّينَ ليسُوع.

وعندما إختَتَمَ تعليمَهُ هذا قال،""قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا بِأَمْثَالٍ بَلْ أُخْبِرُكُمْ عَنِ الآبِ عَلانِيَّةً. فِيْ ذَلِكَ اليَوْمِ تَطْلُبُوْنَ بِاسْمِيْ. وَلَسْتُ أَقُوْلُ لَكُمْ إِنِّيْ أَنَا أَسْأَلُ الآبَ مِنْ أَجْلِكُمْ. لأَنَّ الآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ لأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُوْنِيْ وآمَنْتُمْ أَنِّيْ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجْتُ. خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ وَقَدْ أَتَيْتُ الى العَالَمِ وَأَيْضاً أَتْرُكُ العَالَمَ وَأَذْهَبُ الى الآبَ.

"قَالَ لَهُ تَلامِيْذُهُ هُوَذَا الآنَ تَتَكَلَّمُ عَلانِيَةً وَلَسْتَ تَقُوْلُ مَثَلاً وَاحِداً. الآنَ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ. لِهَذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ. أَجَابَهُمْ يَسُوْعُ الآنَ تُؤْمِنُوْنَ. هُوَذَا تَأْتِيْ سَاعَةٌ وَقَدْ أَتَتِ الآنَ تَتَفَرَّقُوْنَ فِيْهَا كُلُّ وَاحِدٍ الى خَاصَّتِهِ وَتَتْرُكُوْنَنِيْ وَحْدِيْ. وَأَنَا لَسْتُ وَحْدِيْ لأَنَّ الآبَ مَعِيْ.

"قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُوْنَ لَكُمْ فِيَّ سَلامٌ. فِيْ العَالَمِ سَيَكُوْنُ لَكُمْ ضِيْقٌ. وَلَكِنْ ثِقُوْا. أَنَا قَدْ غَلَبْتُ العَالَمَ". (يُوحنَّا ١٦: ٢٥- ٣٣) بهذه الطريقةِ ختمَ يسوعُ عظةَ العُلِّيَّة.

عندما أخبَرَ يسُوعُ الرُّسُلُ أنَّهُ كانَ يتكلَّمُ بِصُورَةٍ مجازِيَّة، كانَ يُشيرُ إلى أمثالِهِ الكثيرة وإستِعارَاتِهِ العميقَة المُتعدِّدَة. لقد إستَخدَمَ بإستِمرار الإستِعارَةَ، والمَثَل، والمجاز واللُّغَةَ الرَّمزِيَّة. ولكن الآن هُوَ يَعِدُ بأنَّ الوقتَ حانَ حيثُ سيتكلَّمُ علانِيَةً (٢٥). أنا أجِدُ هذا مُحَيِّراً، أنَّهُ علَّمَ تلاميذَهُ العديدَ منَ الحقائِقِ العميقَة في هذه المَرحَلة، رُغمَ أنَّهُم لم يفهَمُوها.

ولكنَّهُم قالُوا لهُ: "الآنَ تَتَكَلَّمُ عَلانِيَةً وَلَسْتَ تَقُوْلُ مَثَلاً وَاحِداً. الآنَ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ. لِهَذَا نُؤْمِنُ". (٢٩) أعتقدُ أنّ ثمّة روحَ نكتةٍ في هذا الأمرِ. ومُجَدَّداً، كما هي الحالُ معَ تجاوُبِ يسُوع معَ تبجُّحِ بُطرُس بأنَّهُ ولو شَكَّ فيهِ الجميعُ فإنَّ بُطرُس لن يَشُكّ، مجدّداً نحنُ

لا نعلمُ تعابيرَ وجهِه، ولا نبرةَ صوتِه، أي لا نعلمُ لغةَ الجسدِ التي استخدَمَها يسُوعُ عندما أجابَ على هذا القول الذي قالَهُ التَّلاميذ – أنَّهُم بعدَ ثلاثِ سنواتٍ منَ العلاقَةِ الوثيقة والتَّدريب الحيويّ – أنَّهُم الآن يُؤمِنُون. أنا مُقتَنِعٌ أنَّهُ بحبٍّ عظيمٍ، وأظنُّ مع بريقٍ في عينَيه وابتسامةٍ في طَرَفِ فمِه، قالَ يسوعُ في العددِ الواحدِ والثلاثين ما يلي: "الآنَ تُؤْمِنُوْنَ".

ومن ثمّ، توقّعَ أمراً ما سيحصلُ بعدَ وقتٍ قصيرٍ. فمن خلالِ الأناجيلِ الأخرى، نعلمُ أنّ يهوّذا أتى في تلك اللحظةِ مع رجالِ الدينِ والجنودِ، وتمَّ اعتقالُ يسوعَ. وعندَ حصولِ ذلك، لاحِظوا ما قالَه يسوعُ: "هُوَذَا تَأْتِيْ سَاْعَةٌ وَقَدْ أَتَتِ الآنَ تَتَفَرَّقُوْنَ فِيْهَاْ كُلٌّ وَاْحِدٍ الى خَاْصَّتِهِ وَتَتْرُكُوْنَنِيْ وَحْدِيْ. وَأَنَاْ لَسْتُ وَحْدِيْ لأَنَّ الآبَ مَعِيْ". علينا أن لا نَقسُوَ كثيراً على بطرس بِسبَبِ إنكارِه بأنَّهُ حتَّى يَعرِف يسُوع، لأنَّنا نقرَأُ أنَّهُ عندما تمَّ إلقاءُ القَبضِ على يسُوع، تركَهُ كُلُّ الرُّسُلِ وهَرَبُوا (متَّى ٢٦: ٥٦؛ مرقُس ١٤: ٥٠) فعندَما أُوقِفَ يسُوع المسيح، أصبَحَ عددُ أعضاءِ كَنيستِهِ صِفراً.

لقد حدثَ الأمرُ عينُهُ مع الرسولِ بولسَ. كتبَ بولسُ في رسالتِه الثانيةِ الى تيموثاوسَ، التي تُعتَبَرُ وَصِيَّتَهُ الأخيرةَ، شهادتَه التاليةَ: "الجَمِيْعُ تَرَكُوْنِيْ. لا يُحْسَبْ عَلَيْهِمْ" (٢تيمُوثاوُس ٤: ١٦). ثُمَّ كَتَبَ أيضاً أنَّهُ لم يَكُنْ وَحيداً: "وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَقَفَ مَعِيْ وَقَوَّاْنِيْ." وذكرَ يسوعُ أيضاً ما يلي: "وَتَتْرُكُوْنَنِيْ وَحْدِيْ. وَأَنَاْ لَسْتُ وَحْدِيْ لأَنَّ الآبَ مَعِيْ". (يُوحَنَّا ١٦: ٣٢)

عندما قالَ يسُوع، "الآنَ تُؤْمِنُوْنَ!" كانَ جَوهَرُ تصريحِهِ يُمكِنُ أن يعني، "يبدُو أنَّكُم الآن أصبحتُم تُؤمِنُون؟" أو يُمكِنُ ترجمَةُ هذا القَول، "فهل أصبحتُم تُؤمنُونَ الآن؟" أعتَقِدُ أنَّهُ لأمرٌ جديرٌ بالمُلاحَظة أنَّ يسُوعَ كانَ يطرَحُ السُّؤال في خِتامِ سنواتِهِ الثَّلاث معَ هؤُلاء الرِّجال. فمتى آمنَ هؤلاءِ الرُّسُل؟ لقد تمَّ إعلامُنا في الإصحاحِ الأوّلِ من هذا الإنجيلِ أنّهم تعهَّدوا بأن يتبعوهُ. وعلى الرَّغمِ من ذلك، في الإصحاحِ الثاني، عندما ذُكِرَ أنّهم رأَوا الماءَ يتحوّلُ الى خمرٍ، أَظْهَرَتْ تلك العجيبةُ مجدَ يسوعَ، فآمنَ به تلاميذُه.

بَعدَ أن قضَوا معَهُ بعضَ الوقت، وبعدَ أن رأَوهُ يُنجِزُ المُعجِزات، وبعدَ أن إرتَعَبُوا بالرِّياحِ والأمواجِ التي عَصَفت بهِم ذاتَ ليلَة، سألُوهُ خائِفين، "يا مُعَلِّم، أما يَهُمُّكَ أنَّنا نغرَق؟" فأجابَهُم، "لماذا أنتُم خائِفُون؟ أليسَ لكُم إيمانٌ؟" بكلماتٍ أُخرى: "ألستُم تُؤمِنُونَ بي حتَّى الآن؟" (مرقُس ٤: ٤٠).

أتحيَّرُ أيضاً عندما أقرأُ في سفرِ أعمالِ الرُّسُل أنَّ بُطرُس، الذي أنكَرَ في الأناجيلِ ثلاثَ مرَّاتٍ، وأخذَ يلعَنُ ويَحلِفُ أنَّهُ لا يعرِفُ يسُوع، ولكنَّنا نراهُ بعدَ أسابيع قائِداً شُجاعاً لا يعرِفُ الخَوف في قيادَتِهِ لأتباعِ يسُوع. نقرأُ أنَّ بُطرُس ويُوحَنَّا دُعِيا أمامَ السِّنهدريم – أي أمامَ رجالِ الدِّين اليَهُود. شكَّلَ السنهدريمُ حلقَةً حولَ الأشخاص الذينَ كانُوا يُدعَونَ للمُثُولِ أمامَهُ. فأينَما تطلَّعُوا، كانُوا يَرَونَ فَرِّيسيِّينَ ورابِيِّينَ وكتَبَة مُتَعصِّبينَ قُساةً، يتفرَّسُونَ فيهِم وهُم يطرَحُونَ عليهِم أسئِلَةً صَعبَة. ولو قدَّمُوا أجوبَةً مغلُوطَةً على الأسئِلَة، كانُوا سيُضرَبُونَ ويُقتَلُون. كانَتِ الدَّعوَةُ لِلمُثُولِ أمامَ السَّنهَدريم إختباراً مُرعِباً.

نقرَأُ أنَّ هذين الرجلين اللذين لم يكونا مُتَعلّمين، لم يستطيعا تَعَلُّمَ القراءةِ والكتابةِ، ولَكِنَّهُما كانا يتمتّعان بشجاعةٍ وحكمةٍ وبلاغةٍ عظيمةٍ. نقرأُ أنَّ السِّنهَدريم تعجَّبَ أنَّهُ كانَ منَ الواضِحِ تماماً أنَّ هذينِ الرَّجُلَين كانا مع يسُوع. كانت هذه هي الطَّريقة الوحيدة التي كانَ بإمكانِهم تفسيرُ شهادَةِ هؤُلاء الرِّجالِ الذين كانُوا مُجَرَّدَ جُبناء عندما أُلقِيَ القَبضُ على يسُوع. (أعمال الرُّسُل ٤)

لكن ما الذي حوَّلَ هؤلاءِ الرجالِ من خائِفينَ جبناءَ، كما نقرأُ عنهُم في الأناجيل، إلى رجالٍ شُجعانٍ وأقوياءَ كما نَراهُم بعدَ بِضعَةِ أسابيع في سفرِ أعمالِ الرسلِ؟ التَّفسيرُ الوَحيدُ المُمكِن هُوَ يومُ العنصرةِ، عندما تحقَّقَ الوعدُ بالمُعزِّي – الرُّوح القُدُس. السُّلوكُ العجائِبيّ لهؤُلاء الرُّسُل يُجيبُ أيضاً على السُّؤال الذي طرحناهُ عبرَ هذه الدِّراسَة لإنجيلِ يُوحَنَّا: "ما هُوَ الإيمانُ؟"

تَلخيصٌ مُوجَز للإصحاح السَّادِس عشَر

في هذا الجزء من عِظَةِ العُلِّيَّة، كانَ يسُوعُ يُعِدُّ الرُّسُلَ للإضطِّهادِ الذي كانُوا سيُواجِهُونَهُ. وكانَ تقديمُهُ لهذه الإضطِّهاد وردَّةُ فِعلِهِم عليهِ، يُختَتَمانِ بالعددِ الأخيرِ من هذا الإصحاح، حيثُ يَقُولُ يسُوع، "قَد كَلَّمتُكُم بِهذا لِيَكُونَ لَكُم فيَّ سَلام. في العالَم سيَكُونُ لَكُم ضِيقٌ. ولكن ثِقُوا أنا قد غَلَبتُ العالم." (يُوحَنَّا ١٦: ٣٣) بإمكانِنا تلخيصُ ما قالَهُ يسُوعُ لهؤُلاء الرُّسُل منَ العددِ الثَّامِن عشَر منَ الإصحاح الخامِس عشَر، وُصُولاً حتَّى نهايَةِ الإصحاحِ السَّادِس عشَر، تحتَ العَناوين التَّالية:

كيفيَّة النَّظَر إلى العالم

"إن كانَ العالَمُ يُبغِضُكُم فاعلَمُوا أنَّهُ قد أبغَضَني قبلَكُم... إن كانُوا قدِ إضطَّهَدُونَي فسيَضطَّهِدُونَكُم. وإن كانُوا قد حَفِظُوا كلامي فسيَحفَظُونَ كلامَكُم." (يُوحَنَّا ١٥: ١٨، ٢٠) "سيُخرِجُونَكُم منَ المجامِع، بل تأتي ساعَةٌ فيها يَظُنُّ كُلُّ من يقتُلُكُم أنَّهُ يُقَدِّمُ خِدمَةً لله." (يُوحَنَّا ١٦: ٢)

كيفيَّة النَّظَر إلى خِدمَةِ الرُّوحِ القُدُس

منَ الجديرِ بالإعتِبارِ أن نُلاحِظَ أنَّهُ في إطارِ تعليمِهِ عنِ الإضطِّهاد، بإمكانِ الرُّسُل أن يتوقَّعُوا من عالَمٍ مُعادٍ، أنَّ يسُوعَ يُعطي وصفاً مُعَمَّقاً للخدمَةِ التي سيَقُومُ بها الرُّوحُ القُدُسُ فيهم ومن خلالِهم (١٦: ٥- ١١). "إن لم أنطَلِقْ لا يأتِيكُم المُعَزِّي. ولكن إن ذَهبتُ أُرسِلُهُ إليكُم." (يُوحَنَّا ١٦: ٧)

إنَّ وصفَهُ لخدمَةِ الرُّوحِ القُدُس مُلَخَّصٌ في الأعدادِ التَّالِيَة: "ومتى جاءَ ذاك، يُبَكِّتُ العالَمَ على خَطِيَّةٍ [أي سيفضَحُ خطايا العالم]، وعلى بِرٍّ [أي سيفضَحُ إثمَ العالَم في تعامُلِهِ معَ البِرِّ]، وعلى دَينُونَةٍ [أي سيفضَحُ ذَنبَ العالم تجاهَ الدَّينُونَة]. أمَّا على خَطِيَّةٍ فلأنَّهُم لا يُؤمِنُونَ بي. وأمَّا على بِرٍّ فلأنِّي ذاهِبٌ إلى أبِي ولا تَرَونَني أيضاً. وأمَّا على دَينُونَةٍ فلأنَّ رَئيسَ هذا العالم قد دِين." (يُوحَنَّا ١٦: ٨- ١١)

كيفِيَّة النَّظَر إلى الأُمُور التي أَقُولُها لكُم

هذا تلخيصُ لتصريحاتٍ أعلنها يسُوع، تتعلَّقُ بِمَوضُوعَين: الإضطِّهادُ الذي سيأتي، والرُّوحُ القُدُس الذي سيأتي وسيُؤَهِّلُ المُؤمنينَ لإحتمالِ الإضطِّهاد: "قد كلَّمتُكُم بهذا لكَي لا تَعثُرُوا." (١٦: ١) "لكِنِّي قد كَلَّمتُكُم بهذا حتَّى إذا جاءَتِ السَّاعَةُ تذكُرُونَ أنِّي أنا قُلتُهُ لكُم." (١٦: ٤) "ولم أقُلْ لكُم منَ البِدايَة لأنِّي كُنتُ معكُم. وأمَّا الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسَلَني وليسَ أحَدٌ منكُم يسأَلُني أينَ تمضِي." (١٦: ٤ و٥) "لكن لأنِّي قُلتُ لكُم هذا قد ملأَ الحُزنُ قُلُوبَكُم." (١٦: ٦) "إنَّ لي أُموراً كثيرَةً أيضاً لأَقُولَ لكُم، ولكن لا تَستَطيعُونَ أن تحتَمِلُوا الآن." (١٦: ١٢) "قد كلَّمتُكُم بهذا بأَمثالٍ ولكن تأتي ساعَةٌ حِينَ لا أُكَلِّمُكُم أيضاً بأمثالٍ بل أُخبِرُكُم عنِ الآبِ

علانِيَةً." (١٦: ٢٥) "قد كلَّمتُكُم بهذا ليَكُونَ لكُم فيَّ سلامٌ." (يُوحَنَّا ١٦: ٣٣)

خاتِمَة:

في هذا الكُتَيِّب الصَّغير، حاوَلتُ أن أُغَطِّي بعضَ كلماتِ يسُوع الأخيرة لتلاميذِهِ، والتي تُشَكِّلُ قِسماً من أعمَقِ تعاليمِهِ. لدينا كُتَيِّبٌ آخر سنتكلَّمُ فيهِ عن إنجيل يُوحَنَّا الرَّائِع هذا. أنا مُتَيقِّنٌ أنَّكُم ستُراسِلُونَنا لِتَطلبُوا الحُصُولَ على هذا الكُتَيِّب الأخير.

صلاتي هي أنَّنا في دِراسَتِنا لِهذا الإنجيل معاً، أن تَكُونَ أيُّها القارِئُ العَزيز قد توصَّلتَ إلى معرِفَةِ يسُوع كمُخَلِّصِكِ الشَّخصِيّ، وأنَّكَ تختَبِرُ مُعجِزَةَ عملِ الرُّوحِ القُدُس في حياتِكَ، كما حدَثَ معَ تلاميذِ يسُوع منذُ ألفَي عام. وصلاتي أيضاً أن تُساعِدَكَ هذه الكُتَيِّباتُ للدُّخُولِ إلى قَلبِ كلمةِ اللهِ وأن تدخُلَ كَلِمَةُ اللهِ إلى قَلبِكَ. هذه هي صلاتي الدَّائمة، لأنَّني أعرِفُ أنَّ اللهَ يعمَلُ أُموراً رائِعَةً وعجيبَةً، عندما يثبُتُ شَعبُهُ في كَلِمَتِهِ، وعندما تثبُتُ كَلِمَتُهُ في شَعبِهِ.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل